الجمهورية الجزائرية الدِّيمقراطية الشَّعبية

وزارة التَّعليم العالي والبحث العلمي

كلِّية الآداب واللُّغات

قسم اللُّغة والأدب العربي

مذكِّـرة مقدَّمة لنيل شهـادة الماسترفي اللُّغة والأدب العربي

تخصُّص: لسانيات عربية

المـوضـوع:

دراسة بنية تحليل الخطاب اللِّساني

"خطبة الوداع "أنموذجا

إعداد الطَّالبة

فاطمة بنُّور

إشـراف الأستاذة:

د وهيبة بن حدُّو

لجنة المناقشة		
أ.د	نورية شيخي	رئيسا
د.	عبد الحكيم والي داحة	ممتحنا
د.	وهيبة بن حدُّو	مشرفا ومقرِّرا

العامالجامعي: 1441هـ-1442هـ/2019م-2020م

بسم اللّٰه الرّحمن الرّحيم

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ
عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤
عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥ ﴾

سورة العلق، الآيات 01-05.

إهداء

أهدي ثمرة جهدي:

إلى ما أملك في الوجود أمّي وَ أبي.

لقول الله تعالى عنهما: ﴿ ۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤ ﴾

[سورة الإسراء ، الآيات 23-24] حفظهما الله ،ورعاهما وأطال في عمرهما شفاء الصحّة ،والبقاء فهما الحنان، ومصدر الدُّعاء.

إلى كلّ من ساعدني في إنجاز هذا البحث العلمي.

إلى كلّ أفراد الأسرة الكريمة.

فاطمة.

شكر وَ عرفان

- الحمدُ لله الذي خلق فأحسن، وأوضح فبيَّن، وعلَّم فأفهم ووهب فأنعم، وصوَّر فأحسن الصُّور خالق الأرض، والسَّماء ،فالق الحبِّ والنَّوى، جعل للإنسان عقلا يستضيئ بنوره، وجعل لِلُّغَة العَرَبِية لسانا فصيحا، وأوضحها بيانا، وأنغمها مقاطعا تفتخر بها الأمم، أفضل الخلق بأروع الحكم، أشكر كلّ نِعَمِهِ العديدة، التي لاَ تُحْصَى وَلاَ تُقَدَّر بِثَمَنْ.
- أتقدَّم بجزيل الشُّكر و التَّقدير إلى من علَّمني حبَّ البحث عن العلم، والمعرفة، أنتظر المستقبل، أمسك قلما وحبرًا، أرسم حروف الأبجد منشدا راية العلم، حاملا سلاح الوطن، فأردِّد كلمة واحدة تحيا الوطن الجزائر.
- أتوجَّه بالشُّكر إلى أستاذة المشرفة الدُّكتورة وهيبة بن حدُّو على إشرافها للبحث وإخراجه على هذه الهيئة، وصبرها، وتوجيهاتها، ونصائحها.
- كَمَا أَتَقدَّم بِالحُبِّ وَالإِحْتِرَام لِكُلّ أَسَاتِذَتِي في الابتدائية، من أجل وصولي إلى مرحلة الجامعية،
- أشكر كلَّ من مدَّ يده للمساعدة، حتَّى ولو بكلمة طيِّبة لإنجاز البحث العلمي المتواضع ممَّا واجهتني من صعوبات، وعراقيل في الحصول على المعلومات العلمية الدَّقيقة فأرجو من أساتذة اللُّجنة الموقَّرة على مراعاة المناقشة الموضوع، دَاعِياً مِنَ المَوْلَى عَزَّ وَ جَلَّ التَّوْفِيقَ وَالنَّجَاح.
- إلي كلِّ هؤلاء أقدِّم شكري وامتناني.

فاطمة.

مقدّمة

الحمدُ لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين، أكرمنا بنعمة العقل، واللِّسان الذي علَّمنا البيان، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّد بن عبد الله خاتم الأنبياء، وإمام المرسلين، وعلى آله، وصحبه أجمعين، إلي يوم الدِّين، أمَّا بعد:

شهدت الدِّراسات اللِّسانية تطوُّرا ملحوظا في أواخر القرن التَّاسع عشر؛ حيث تمَّ تجاوز المناهج المعتمدة في الدِّراسة اللُّغوية إلى اعتماد المنهج الوصفي الذي يرجع معظم الباحثين بداية ظهوره إلى عهد دو سوسير قبل انتشاره في بقاع العالم، وتأثيره على مختلف العلوم، والتَّخصُّصات ولما كانت سمة التَّطوُّر ملازمة للنَّظريات اللِّسانية، فإنَّه كان لابدَّ من نقد المنهج البنيوي اللِّساني، والاتِّجاه البنيوي في دراسة اللُّغة عامَّة أو إظهار عيوب بعض مبادئه، وأركانه لتبرير ضرورة التَّبشير بنظرية أخرى تقوم على أنقاض التي سبقتها؛ حيث يتَّفق اللِّسانيون على أنَّ البنيوية تقوم أساس نظري، وأنَّ البنيوية كمبدأ عام ظهر في أوائل القرن العشرين، يعني عندما نشر كتابه بعنوان "محاضرات في اللِّسانيات" للسُّويسري فرديناند دو سوسير سنة 1917م في باريس، الذي يعدُّ أوَّل مصدر للبنيوية في الثَّقافة الغربية، ومختلف العلوم الأخرى، غير أنَّ المفهوم الحقيقي للبنية لم يتَّضح إلَّا بظهور البنيوية اللُّغوية، وهذه الأخيرة تعني بدراسة اللُّغة، وذلك من خلال مستوياتها الأربعة: المستوى الصَّوتي، الصَّرفي، النَّحوي، والدَّلالي، فالمستويات الأربعة الأخيرة هي عمدة اللُّغة، فعند تضافرها فيما بينها تشكِّل بنية اللُّغة، فالفرد لا يكتسب لغة ما يشترط بوجود مجتمع يستعمل جمل لهذه اللُّغة في سياقات مختلفة، ومعرفة مختلفة الألفاظ، والدَّلالات المناسبة خصَّصنا في بحثنا هذا الموضوع تحت عنوان "دراسة بنية تحليل الخطاب اللِّساني بتطبيق خطبة الوداع نموذجا "لحبيبنا المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم.

وقد اقتضت خطَّة البحث أن يكون مؤلَّفا من مدخل وثلاثة فصول، أمَّا المدخل فحاولت فيه تحديد مستوى الدِّراسة بتوضيح وشرح المفاهيم التي تأخذها المصطلحات المتعدِّدة: البنية، الخطاب، التَّحليل، كما تناولت علاقة البنية بمجال اللِّسانيات وعلاقتها بتحليل الخطاب اللِّساني، ويلي هذا المدخل فصل أوَّل عبارة عن دراسة نظرية، حاولت من خلالها توضيح نشأة اللِّسانيات البنيوية التي تعدُّ انطلاق مفهوم البنية، أمَّا الفصل الثَّاني فحاولت من خلاله مدى ارتباط البنية بمجال اللِّسانيات بذكر

وظائفها اللُّغوية والخصائص الفنية، أمَّا الفصل الثَّالث فحاولت من خلاله معالجة النصِّ من منظور بنيوي لساني، ودعَّمت هذين الفصلين بفصل ثالث تطبيقي، حلَّلت فيه خطبة الوداع انطلاقا من بنيتها اللُّغوية، وأنهيت بحثي هذا بخاتمة لخصت فيها أهم النَّتائج المتوصَّل إليها، ويبدو جليًّا من خطَّة البحث أنَّني اعتمدت المنهج الوصفي التَّحليلي الذي رأيته الأمثل لمعالجة هذا الموضوع، والمنهج الذي اتَّبعته في بحثي هذا هو المنهج الوصفي التَّحليلي الملائم لأيِّ بحث علمي أكاديمي.

ومن أهمِّ الكتب التي اعتمدت عليها ما يلي:

- "اللِّسانيات الوظيفية المقارنة دراسة في التَّنميط والتَّطوُّر" لأحمد المتوكِّل.
- "مشكلة البنية" لإبراهيم زكريا.
- "نظرية البنائية في النَّقد الأدبي" لصلاح فضل.
- "المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب" لدومينيك مانغونو.
- "الخطاب" لسارة ميلز.
- "الخطاب وخصائص اللُّغة العربية" لأحمد المتوكِّل.

والموضوع هذا رغم كونه من المواضيع المتَّسعة إلَّا أنَّنا لاحظنا وفرة الكتب بمختلف المكتبات، ووفرة الكتب الإلكترونية وخاصَّة تلك التي تعالج موضوع بنية الخطاب اللِّساني، كما أنَّ كيفية دراسة تحليل النُّصوص من منظور تحليل الخطاب اللِّساني هذا يصعب على الطَّالب الباحث الإلمام بطريقة التَّحليل، وما يمكن قوله هنا هو أنَّني أدركت مدى صعوبة الإلمام بجوانب هذا الموضوع المتوسّع، وقد خضعت في هذا المجال العلمي رغبة منِّي في الاستفادة، لأنَّ البنية اللِّسانية كانت بمثابة تداخل بين مجالين مختلفين تماما وهما اللُّغة واللِّسان.

أمَّا الأسئلة التي تمحورت في هذا البحث: ما مفهوم البنية؟ وماهي علاقتها بمجال اللِّسانيات؟ وركَّزت في بحثي هذا عن خطبة الوداع للنَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم، التي تعدُّ الجانب التَّطبيقي لأحكام التَّشريع الإسلامية الذي مارسها النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم في حياته، وتعدُّ شاهدا حقيقيًّا على قيام كثير من العلوم، والفنون الشَّرعية من خلال وقائع السِّيرة النَّبوية، وأحداثها في تلك الفترة المباركة، رغم

ذلك تلقَّيت ندرة في المراجع التي تأخذ الجانب بالجانب التَّطبيقي في مثل هذا الموضوع ومع كلِّ ذلك عزمت على مواصلة هذا العمل وتحدِّي العقبات بكلِّ عزم وحرص لإعطاء الموضوع حقَّه إلَّا في الدِّراسة، وفي الأخير لا يسعنا إلَّا أن نقول الحمدُ لله على نعمة العلم، والصَّبر على إنجاز هذا العمل، رغم الصُّعوبات التي واجهتني.

الطَّالبة: فاطمة بنُّور.

تلمسان يوم: 09 أكتوبر 2020م.

مدخل:

اللّسانيات النّشأة والتّطوّر

1- تعريف اللِّسانيات

تعرف اللِّسانيات (linguistique) العلم الذي يدرس اللُّغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف، ومعاينة الوقائع، بعيدا عن النَّزعة التَّعليمية، والأحكام المعيارية، وكلمة (علم) لها ضرورة قصوى لتمييز هذه الدِّراسة من غيرها، لأنَّ أوَّل ما يطلب في الدِّراسة العلمية هو اتِّباع طريقة منهجية، والانطلاق من أسس موضوعية يمكن التَّحقُّق منها وإثباتها.[1]

ويطلق العلم (science) بحث موضوعه دراسة طائفة معيَّنة من الظَّواهر لبيان حقيقتها وعناصرها، ونشأتها، وتطوُّرها، ووظائفها، والعلاقات التي تربطها بعضها ببعض، والتي تربطها بغيرها، وكشف القوانين الخاضعة لها في مختلف نواحيها[2]، كما تعدُّ اللِّسانيات (linguistique)، وتسمَّى أيضا الألسنية، وعلم اللُّغة بأنَّها "الدِّراسة العلمية للُّغة" تمييزا لها عن الجهود الفردية، والخواطر، والملاحظات التي كان يقوم بها المهتمُّون باللُّغة عبر العصور، ومن الشَّائع في تاريخ البحث اللُّغوي أنَّ الهنود، والإغريق كانت لهم اهتمامات باللُّغة منذ أكثر من ألفين وخمسمائة سنة، وكثيرا ما يشير مؤرِّخو البحث اللُّغوي الغربيون إلى جهود الهنود، والإغريق، ولكنَّهم يغفلون جهود العرب، والمسلمين في هذا المجال.[3]

علم اللِّسان هو الدِّراسة العلمية الموضوعية للِّسان البشري، أي دراسة تلك الظَّاهرة العامَّة، والمشتركة بين بني البشر، والجديرة بالاهتمام، والدِّراسة بغضِّ النَّظر عن كلِّ الاعتبارات الأخرى التي لا تعدُّ من صلب اهتمام اللِّسانيين.[4]

---

[1]- مبادئ اللِّسانيات، أحمد محمَّد قدُّور، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1995م، ص 13.

[2]- المرجع نفسه، ص 13.

[3]- مدخل إلى اللِّسانيات، محمَّد محمَّد يونس علي، دار الكتاب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط 1، 2004م، ص 09.

[4]- مبادئ في اللِّسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة للنَّشر، الجزائر، ط 2، 2006م، ص 09.

2- نشأة اللِّسانيات:

يري بعض المؤرِّخين أنَّ نشأة اللِّسانيات بدأت في القرن الثَّامن عشر مع وليم جونز william jones الذي لاحظ شبها قويًّا بين اللُّغة الإنجليزية من جهة، واللُّغات الأسيوية والأوروبية من جهة أخرى، بما في ذلك اللُّغة السَّنسكريتية snskrit، وهو ما دعاه إلى استنتاج وجود صلة تاريخية وأصل مشترك بينهما، وأدَّى الاهتمام بالمنهج التَّأثيلي etymological الذي يتوسَّل به في معرفة الصِّلة بين اللُّغات، وتطوُّراتها التَّاريخية.[5]

وفي بداية القرن العشرين أخذ البحث اللُّغوي طابعا علميًّا على يد اللُّغوي السُّويسري فرديناند دو سوسور الذي لقِّب بأبي اللِّسانيات الحديثة، وعلى الرَّغم من أنَّ اهتمامه طيلة حياته العلمية كان منصبًّا على اللِّسانيات التَّاريخية، وواكب توجيه دو سوسير اهتمام اللُّغويين إلى أهمِّية المنهج التَّزامني في دراسة اللُّغة ظهور أحد الإناسيين في أمريكا، وهو فرانز بوان الذي أرسى دعائم المنهج الوصفي في اللُّغة، وكان له فضل على كثير من اللِّسانيين الأمريكيين الذين جاءوا بعده، وقد عني الأمريكيون في تلك الحقبة بدراسة لغات السكَّان الأصليين للقارَّة الأمريكية التي كانت معرَّضة للانقراض، واتَّسم منهجهم في دراسة تلك اللُّغات بالنَّظر إليها على أنَّها أنظمة مستقلَّة عن غيرها.[6]

وأخيرا ينبغي أن نشير إلى أنَّ طبيعة موضوع اللِّسانيات، والمناهج البحثية المتَّبعة فيه، جعلته علما يجمع بين خصائص العلوم الطَّبيعية، والعلوم الاجتماعية، ونظرا إلى أنَّه يتعامل مع اللُّغة البشرية بوصفها نظاما عالميًّا، فيمكن عدُّه فرعا من فروع علم العلامات semiotics.[7]

إنَّ اللُّغة بوصفها نظام تواصلي، يحقِّق النَّزعة التَّواصلية التي يتميَّز بها الإنسان عن بقيَّة الكائنات الأخرى أثارت انتباه المفكِّرين، والفلاسفة منذ القديم، الأمر الذي جعلها تحظى الكثير من

---

[5]- مدخل إلى اللِّسانيات، محمَّد محمَّد يونس علي، ص 10

[6]- المرجع نفسه، ص 10.

[7]- ينظر: المرجع نفسه، ص 10-11.

الدِّراسات، ومن بين الحضارات القديمة التي تهدف إلى اكتشاف جوهر هذا النِّظام: الحضارة الهندية، والحضارة اليونانية، والرُّومانية، والحضارة العربية، وحتَّى صارت دراسات الباحثين في القرون الوسطى، وفي عصر النَّهضة، حتَّى نهاية القرن الثَّامن عشر ميلادي، إضافة إلى البحوث اللِّسانية التَّاريخية، والمقارنة.[8]

كما ترجع بداية اللِّسانيات بوصفها علما حديثا إلى القرن التَّاسع عشر، لأنَّه شهد منعطفات كبرى في مسيرة هذا العلم، هي اكتشاف اللُّغة السَّنسكريتية، فقد تمَّ بصورة جليَّة على يد وليام جونز w. jones (ت 1794م) عام 1786م ، وكان قاضيا في كالكتا –حين أعلن أمام الجمعية الأسيوية في البنغال عن أهمِّية هذه اللُّغة للبحوث اللُّغوية الأوروبية– يقول جونز "إنَّ اللُّغة السَّنسكريتية –مهما كان قدمها– بنية رائعة أكمل من الإغريقية، وأغنى من اللَّاتينية، وهي تتمُّ عن ثقافة أرقى من ثقافة هاتين اللُّغتين، لكنَّها مع ذلك تتَّصل بهما بصلة وثيقة من القرابة، سواء من ناحية جذور الأفعال أم من ناحية الصِّيغ النَّحوية، حتَّى لا يمكننا أن نغزو هذه القرابة إلى مجرَّد المصادفة، ولا يسع أيُّ لغوي بعد تفحُّصه هذه اللُّغات الثَّلاث، إلَّا أن يعترف بأنَّها تتفرَّع من أصل مشترك زال من الوجود، وعني شليجل في كتابه "حول لغة الهنود، وحكمتهم" 1808م، بشرح هذه النَّظرية التي طرحها جونز، وفي حقيقة التي ظهر فيها جونز أصدر الأب بارتلمى –وكان مبشِّرا في الهند– كتابا بعنوان "قواعد السَّنسكريتية"، وآخر بعنوان "في قدم اللُّغات الفارسية، والسَّنسكريتية، والجرمانية، والتَّجانس بينهما"، ثمَّ صدرت في إنكلترا مجموعة من الكتب التي تعالج السَّنسكريتية، لكن باريس غدت مركز الدِّراسات المتَّصلة بالسَّنسكريتية، واستقطبت لذلك كثيرا من الباحثين من ألمانيا، وإنكلترا، والجديد في هذا الموضوع حقًّا هو استخدام اللُّغة السَّنسكريتية أساسا للمقارنة ضمن اللُّغات الهندية الأوروبية، وهكذا صار هذا الاكتشاف مادَّة لتطبيق أسلوب المقارنة، وأسلوب المقارنة لم يكن من ابتداع اللُّغويين، إذ شاع قبل ظهور كتاب بون (1867م) عام 1817م المعروف بِـ "في نظام

[8]– اللِّسانيات النَّشأة والتَّطوُّر، أحمد مومن، ديوان المطبوعات، بن عكنون، الجزائر، ط 1، 2005م، ص 105.

تصريف اللُّغة السَّنسكريتية، ومقارنته بالأنظمة الصَّرفية المعروفة في اللُّغات اليونانية، واللَّاتينية، والفارسية، والجرمانية، وأبرز مجال عرفه هذا الأسلوب هو علم التَّشريح، وعلم الحياة، ولم يكن تأثُّر اللُّغويين عصرئذ بالأسلوب المقارن في العلوم الطَّبيعية أمرا عارضا، إنَّما كان مقصودا منذ البداية فشليجل الذي دعا إلى ضرورة إيجاد القواعد المقارنة صرَّح بأنَّ ذلك سيتمُّ بالوسيلة نفسها التي توسَّل بها علم التَّشريح في إلقائه ضوءا ساطعا على الحلقات الأولى من الكائنات، ولذلك يلاحظ تأثُّر أصحاب المقارنات اللُّغوية بالمفردات والمصطلحات الشَّائعة في البحوث الطَّبيعية تأثُّرا كبيرا، وهكذا شاعت في مجال اللُّغة ألفاظ لم تكن تستساغ من قبل نحو (الجهاز العضوي) وَ (الرَّشيم) وَ (الجذور) وَ (النَّسيج الحي) وَ (حياة) الألفاظ، وغيرها، وأشهر من طبَّق الأسلوب المقارن في الدِّراسات اللُّغوية في تلك الفترة شليجل (ت 1829م) الذي درس الحضارة الهندية، وأسهم في تصنيف اللُّغات، ونبَّه على صلات التَّشابه الكثيرة التي تربط اللُّغات الأوروبية، والهندية، والآرية بعضها ببعض، كذلك كان راسك (ت 1822م) رائدا من روَّاد القواعد المقارنة، لأنَّه كتب باللُّغة الدَّانماركية، ولأنَّه لم يطَّلع على السَّنسكريتية مباشرة، ولأنَّ حياته القصيرة لم تتح له بذل جميع طاقاته، مع أنَّه أقرب من بوب إلى الطَّريقة العلمية، وأدقّ منه، ومن روَّاد هذا الأسلوب أيضا غريم (ت 1862م) صاحب كتاب "في القواعد الألمانية"، وهو يعدُّ من مؤسِّسي الأسلوب التَّاريخي أيضا، أمَّا بوب فهو مؤسِّس القواعد المقارنة الذي لا ينازع، لقد ظلَّ يبحث في مجال المقارنة نصف قرن من الزَّمن بعد أن درس مجموعة من اللُّغات، كالفارسية، والعربية، والعبرية، والسَّنسكريتية، وعددا آخر من اللُّغات الأوروبية، وكان الهدف الأساسي من القواعد المقارنة إثبات القرابة بين اللُّغات، وهي لا تسعى إلى تتبُّع تاريخها خطوة خطوة، بل تعتمد طريقة الموازنة الدَّقيقة الصَّارمة، وتنتهي من عملها أو تستنفد طاقتها إذا أثبتت أنَّ التَّشابه بين أشكال لغتين لا يمكن أن يكون من قبيل المصادفة، ومن ثمَّ لابدَّ أن تكون اللُّغتان قريبتين من النَّاحية التَّوليدية، إمَّا أن تكون إحداهما منحدرة من الأخرى، وإنَّما أن تنحدر معا من أصل مشترك... ولابدَّ من الإشارة هنا إلى بعض اللُّغويين الذين ينتمون إلى مدرسة بوب، ولاسيما ماكس مولر وَ جورج كورتيوس أوغست شليشر، فقد قدَّم هؤلاء كلٌّ بحسب طريقته خيرا للدِّراسات المقارنة،

ثمَّ ظهر نتيجة تطوُّر الأسلوب المقارن الذي اعتمد في طرفه العلمية على رصد التَّطوُّر التَّاريخي أسلوبا جديدا، لم يعد يهتمُّ بإثبات القرابة بين اللُّغات، بل يهتمُّ بمعرفة جميع التَّطوُّرات اللَّفظية في لغة ما من خلال مجموع تاريخها، لكن التَّفريق بين الأسلوبيين المقارن، والتَّاريخي لم يتَّضح إلَّا بعد عام 1877م تقريبا، مع بقاء تداخل بين الأسلوبين.

لقد اهتمَّ غريم وديز، وَ شليشر بوضع القواعد التَّاريخية، كما اهتمَّت مدرسة النَّحويين المحدثين néo- grammairiens بهذا الأسلوب، متأثِّرة بنفوذ علم التَّاريخ الذي كان يعدُّ العلم الرَّائد في فكر القرن التَّاسع عشر، لكن أسلوبا آخر جديدا ما لبث أن اتَّضحت معالمه أواخر القرن التَّاسع عشر، وأوائل القرن العشرين هو الأسلوب الوصفي الذي دعا إليه بداية انطوان مارتيني ثمَّ فرديناند دو سوسير، وقوام هذا الأسلوب المنهجي هو دراسة الظَّواهر اللُّغوية في فترة زمنية محدَّدة، وبالوصف العلمي البعيد عن الأحكام المسبقة أو معايير الخطأ والصَّواب.

لقد صار الأسلوب سائدا الذي أكثر الدَّارسين اللُّغويين في أنحاء العالم منذ أن اكتشفت القيمة الحقيقية لمحاضرات دو سوسير أواسط هذا القرن، وما إن أضحى الأسلوب الوصفي معالمه في أواخر القرن التَّاسع عشر الذي دعى إليه أنطوان مارتي A . marty j ثمَّ العالم هذا الأسلوب المنهجي في دراسة الظَّواهر اللُّغوية في فترة زمنية محدَّدة ومكانا محدَّدا وصفا علميًّا دقيقا، بعيدا عن الأحكام المعيارية القائمة على مبادئ الخطأ والصواب، واستنباط القاعدة، وهو ما ساعد على ظهور اللِّسانيات الحديثة، فقد صار هذا الأسلوب محلَّ اهتمام كثير من الباحثين، والدَّارسين اللُّغويين في مختلف أقطاب العالم، وخاصَّة الأهمِّية التي قدَّمتها "محاضرات دي سوسير" في أواخر القرن العشرين سنة 1910م، وبذلك تراجعت المفاهيم الأوَّلية للدِّراسات التَّاريخية.[9]

[9]- مبادئ في اللِّسانيات، أحمد محمَّد قدُّور، ص 18.

- **فرديناند دي سوسير:** ولد فردنان دي سوسير في جنيف بسويسرا في 17 نوفمبر 1857م، وقد انحدر من عائلة فرنسية بروستانتية، هاجرت من لوزان خلال الحروب الدِّينية الفرنسية في أواخر القرن السَّادس عشر الميلادي إلى سويسرا، وشاعت الأقدار أن يولد هذا الرَّجل بعد عام واحد من مولد سجموند فرويد مؤسِّس علم الاجتماع الحديث فكان لهذا الثُّلاثي شأن كبير في توجيه مسار العلوم الإنسانية وإحدى ثورة كوبرنية على المفاهيم القديمة والمناهج الكلاسيكية.[10]

درس اللِّسانيات التَّاريخية، ولم يدرس اللِّسانيات الآنية الذي اشتهر بها إلى بعد وفاته في السَّنوات الأخيرة من حياته، فهو بدون منازع يعدُّ الأب الحقيقي ومؤسِّس المنهج الآني، وأوَّل من نظر لكلٍّ من البنيوية والسِّيماء.[11]

- **مؤلَّفاته:** اشتهر دي سوسير بمؤلَّفه الشَّهير cours de linguistique general "محاضرات في اللِّسانيات العامَّة"، الذي صدر بعد موته بثلاث سنوات على يد تلميذيْه ألبرت سيشهاي وَ شارل بالي.

3- مناهج اللِّسانيات

تتيح اللِّسانيات للدَّارسين إمكانات منهجية متعدِّدة لتناول الظَّواهر اللُّغوية، وتصنيفها، واستخلاص سماتها، فقد استقر الأمر مؤخَّرا على أنَّ المناهج اللِّسانية التي يمكن سلوكها هي بحسب تاريخ ظهورها:

- **المنهج المقارن:** يختصُّ بدراسة العلاقات التَّاريخية بين لغتين أو أكثر ضمن أسرة لغوية واحدة، ومن المعروف أنَّ اللُّغويين في القرن التَّاسع عشر توصَّلوا إلى تقسيم اللُّغات إلى مجموعات أو أسر معيَّنة، وأهمُّ هذه المجموعات الكبرى هو المجموعة الهندية

[10]- المرجع السَّابق، ص 40.

[11]- اللِّسانيات النَّشأة والتَّطوُّر، أحمد مومن، ص 121.

الأوروبية، والمجموعة السَّامية الحامية، وهكذا يتبيَّن أنَّ دراسة العلاقات التَّاريخية في أي مجال كالأصوات، والصَّرف، والنَّحو، والمعجم بين لغة وأخرى ضمن أسرة لغوية واحدة أو فرع معيَّن من فروعها هي التي شكَّلت بعد تكاثر البحوث، ووضوح الأسس ما عرف بعلم اللُّغة المقارن (linguistique comparée).[12]

- **المنهج التَّاريخي:** يختصُّ بدراسة التَّطوُّر اللُّغوي عبر الزَّمن من خلال الوقوف على التَّطوُّر الاجتماعي، والثَّقافي، والعلمي، وكلُّ المعطيات المؤثِّرة في اللُّغة، فالبحوث التي ترصد توزُّع اللُّغة، وانتشارها، وتحوُّلها إلى لهجات، أو التي تقف على تحوُّل اللُّغة الرَّسمية (أو الفصحى) إلى لغة عالمية نتيجة الحروب، والتَّوسُّع السِّياسي، فالمنهج التَّاريخي إذن هو وسيلة لتأريخ اللُّغة، وظواهرها، ورصد حياتها من عصر إلى آخر، وبيان مسار ما يطرأ عليها من تطوُّر، وقد أطلق على الدِّراسات التي نحت هذا المنحى بوسائل علمية خاصَّة مصطلح علم اللُّغة التَّاريخي (linguistique historique).[13]
- **المنهج الوصفي:** يتناول بالدَّرس العلمي كلَّ الظَّواهر اللُّغوية بعد تحديد مجالها وزمنها، وبيئتها، فلابدَّ هنا من تحديد المجال، كأن يكون لغة فصحى أو لهجة أو مستوى معيَّنا (niveau) من مستويات الاستعمال، كمستوى الشِّعر أو مستوى الإعلام أو الصِّحافة وتحديد الزَّمن، لأنَّ المنهج الوصفي يفترض أنَّ هناك (سكونا) ضمن مرحلة زمنية محدَّدة، فيدرس الظَّواهر اللُّغوية في المرحلة الزَّمنية المقصودة من غير التفات إلى ارتباطها بغيرها عبر الزَّمن وأنَّ اللِّسانيات جرت الدَّرس اللُّغوي من المنطق والمعيار، والنَّزعة التَّعليمية وسعت إلى دراسة اللُّغة لذاتها من غير التفاف إلى ما كان يفرض عليها من مناهج أو ما يقودها إلى غايات أخرى بعيدة عنها، فكلُّ دراسة تنشأ على

[12] – مبادئ اللِّسانيات، أحمد محمَّد قدُّور، ص 26.

[13] – المرجع نفسه، ص 27.

هذا النَّحو، تدخل في اختصاص علم اللُّغة الوصفي (linguistique descriptive).[14]

- **المنهج التَّقابلي**: يتناول المنهج التَّقابلي contrastive وهو أحدث اللِّسانيات لغتين أو لهجتين أو مستويين من الكلام بالدَّرس العلمي للوصول إلى الفروق الموضوعية بين الطَّرفين تبني عليهما الدِّراسة، وقد نشأ هذا المنهج أصلا من محاولة التَّغلُّب على صعوبة تعليم اللُّغات لغير أبنائها، ولذلك لا يشترط فيه أن يكون خاصًّا بدراسة اللُّغات التي تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة، فالدِّراسة التي تقابل بين خصائص الجملة في الإنجليزية من جهة، والعربية الفصحى من جهة أخرى، تعدُّ دراسة تقابلية وقس على ذلك الدِّراسات الأخرى التي تقابل بين لغتين أو لهجتين في أيّ ظاهرة أو قطاع من قطاعات الدَّرس اللُّغوي، ولاشكَّ في أنَّ الدَّرس التَّقابلي يفيد من نتائج الدَّرس الوصفي، لأنَّ المقابلة تكون بعد التَّعرُّف إلى خصائص المادَّة المدروسة، تعرف علميًّا صحيحا وتوظّف الدِّراسات التي تنشأ على هذا النَّحو التَّقابلي في مجال علم اللُّغة التَّطبيقي الذي يضع ثمار الدِّراسات التَّقابلية النَّظرية في برامج تطبيقية، تسهِّل تعليم اللُّغات، وقد أطلق على الدِّراسات التي تسلك هذا المنهج مصطلح علم اللُّغة التَّقابلي linguistique contrastive[15]، ويقصد بعلم اللُّغة التَّقابلي (linguistique contrastive) المقارنة بين لغتين أو أكثر من عائلة لغوية واحدة أو عائلات لغوية مختلفة بهدف تسيير المشكلات العلمية التي تنشأ عند التقاء هذه اللُّغات كالتَّرجمة وتعليم اللُّغات الأجنبية.[16]

---

[14]- المرجع السَّابق، ص 28.

[15]- المرجع نفسه، ص 27-28.

[16]- علم اللُّغة التَّقابلي وتعليم العربية، عبده الرَّاجحي، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية، 1995م، ص 45.

4- فروع اللِّسانيات:

درس اللِّسانيون اللُّغة من جوانب متعدِّدة، وفقا لأغراضهم المتنوِّعة واهتماماتهم المختلفة وقد نتج عن ذلك نشأة فروع مختلفة للِّسانيات منها:

- **اللِّسانيات العامَّة واللِّسانيات الوصفية:** يفرِّق اللِّسانيون بين ما يعرف عندهم باللِّسانيات العامَّة (general linguistique)، واللِّسانيات الوصفية descriptive (linguistique) ويعني الأوَّل بدراسة اللُّغة من حيث هي، بوصفها ظاهرة بشرية تميِّز الإنسان عن الحيوان ونظاما يتميَّز عن الأنظمة الإبلاغية الأخرى، في حين يتناول الثَّاني وصف لغة ما كالعربية، أو غيرها، وكما هو واضح فإنَّ التَّفريق يتَّصل اتِّصالا وثيقا بالتَّفريق بين اللُّغة بوصفها ظاهرة عامَّة، واللُّغة المعيَّنة.

ويستفيد كلا الفرعيين من النَّتائج التي يصل إليها الآخر، فاللِّسانيات العامَّة تقدِّم المفاهيم، والمقولات (categories) التي تحلَّل بها اللُّغات المعيَّنة، في حين تقدِّم اللِّسانيات الوصفية المادَّة التي تؤيِّد أو تدحض القضايا، والنَّظريات التي تتناولها اللِّسانيات العامَّة، وهكذا فإنَّ الدِّراسات الوصفية للُّغات بعينها تؤول إلى صوغ الخصائص العامَّة التي تشترك فيها جميع اللُّغات.[17]

- **اللِّسانيات التَّاريخية:** لقد اتَّسم البحث اللُّغوي في القرن التَّاسع عشر بالطَّابع التَّاريخي الذي يتناول تطوُّر اللُّغة عبر العصور، وقد شاع بين اللُّغويين آنذاك النَّظر إلى اللُّغة على أنَّها كائن حيٌّ كالنَّباتات، والحيوانات، متأثِّرين في ذلك بنظريَّة التَّطوُّر في علم الأحياء التي صاغها داروين في كتابه "أصل الأنواع"، وكان هناك خلط منهجي في البحث اللُّغوي بين دراسة اللُّغة دراسة تاريخية، ودراستها دراسة آنية، وكان للِّساني فرديناند دو سوسور فضل في التَّمييز بين المنهجيين، فقد فرَّق بين الدِّراسات التَّعاقبية

[17]- مدخل إلى اللِّسانيات، محمَّد محمَّد يونس علي، ص 13.

diachronic والدِّراسات التَّزامنية synchronic، ودعا إلى عدم الخلط بين المنهجيين، لأنَّ تاريخ اللُّغة، وتطوُّر الكلمات، والتَّراكيب ليس له صلة بوصفها في فترة معيَّنة من الزَّمن، ومن المهمِّ هنا أن نوضِّح أنَّه في اللِّسانيات التَّاريخية (historic linguistique)، كما في غيره يمكن للمرء أن يدرس لغة بعينها أو يدرس اللُّغة من حيث هي.[18]

5- مصطلحات اللِّسانيات ومشكلاتها:

تعاني اللِّسانيات linguistique مبدئيًّا ما تعانيه العلوم المقترضة من مشكلات متعدِّدة، كوضع ثمرات العلوم في متناول الباحثين، من حيث اللُّغة، والأسلوب، والأدوات العلمية الخاصَّة، ومتابعة التَّطوُّر السَّريع الذي يرهق في عصرنا المتابع بَلْه المتباطئ، وتكييف المعطيات العربية لنتنزل في الواقع العلمي والحضاري الجديد، وابتداع المصطلحات الموافقة للعلم، ومستمدَّة من اللُّغة، منسجمة غير ناشرة، لكن اللِّسانيات تعاني إضافة إلى ما سبق، من كونها علما جديدا عند الأجانب أنفسهم، ممَّا يفرض على درسنا تتبُّعات أخرى تتَّصل بتداخل المصطلحات في لغاتها الأصلية، وتعدُّد الاتِّجاهات، واختلاف المناهج لاختلاف طبيعة هذا العلم الفكرية عن غيره من العلوم الطَّبيعية، والرِّياضية ونحوها، فاللِّسانيات التي ما فتئ أصحابها يصفونها بالعلم science لا تخرج عن نطاق العلوم الإنسانية، وإن استمدَّت كثيرا من أدواتها من العلوم الأخر كالرِّياضيات، والفيزياء، والطب، أمَّا سبل تلقِّي المصطلحات اللِّسانية، وأشكال ورودها في المصنَّفات العربية، فقد تدرَّجت عبر المرحلتين المشار إليهما آنفا، نحو الاتِّساع، والتَّعمُّق، والتَّوزُّع، حتَّى صارت المصطلحات اللِّسانية بابا من أبواب الدَّرس اللِّساني، له ما للِّسانيات من ملامح، وسمات، وإن كان يمتاز بأشياء ترجع إلى طبيعته، ووظيفته خاصَّة.

[18]- المرجع السَّابق، ص 14.

ويلاحظ أنَّ هؤلاء سلكوا مسلكا متشابها في إيراد المصطلح الأجنبي، مكتوبا بالحروف اللَّاتينية، ومقرونا بالتَّرجمة المقترحة دون الإكثار من كتابته بلفظه بحروف عربية، ولاسيما إذا كان غريبا على خصائص العربية نحو: اللَّانغويستيك، والسِّيمانتيك، والسَّانتكس، وكنَّا رأينا من ذلك كثيرا عند الدُّكتور وافي، ومن تبعه كالأستاذ محمَّد الأنطاكي في "الوجيز في فقه اللُّغة" الصَّادر عام 1969م.

وقد امتدَّت جوانب الدَّرس اللِّساني في عقد السَّبعينات لتشمل أكثر أقطار العروبة، بعد أن كانت تقتصر على مصر، متَّخذة لبوس تجديد الدَّرس اللُّغوي وإثرائه، أمَّا ما يتَّصل بالأقطار الأخرى فقد كانت جوانب الدَّرس قليلة، ويغلب عليها الاقتباس غير المنهجي، وهكذا بدأت المرحلة الأخرى التي شهدت بروز اختصاص اللِّسانيات في المناهج الجامعية وازدياد الإقبال ازديادا ملحوظا، وتوالت التَّرجمات المتعدِّدة المصادر والمختلفة الاتِّجاهات والكثيرة الفروع، وقد أسهم هذا كلُّه في إحداث نهضة ثقافية جدَّدت كثيرا من الأفكار الدِّراسية في اللُّغة، والنَّقد، والبلاغة، والتَّرجمة هي السَّبيل الأخرى لتلقِّي اللِّسانيات الجديدة، وهي –أي التَّرجمة– نافذة للفكر تضمن له سبيل الإثراء، والتَّبادل والتَّجديد، ولذلك عُدَّت في تاريخ الحضارات الإنسانية عاملا من عوامل النُّهوض، والإنشاء قبل أن نعرض لآثار المترجمة إلى أنَّ ترجمة الجوانب اللِّسانية في المرحلة الأولى لم نشهد تنبُّها إلى استقلال اللِّسانيات، وحاجاتها إلى مصطلحات خاصَّة بها، إذ جرت العادة على جعل تلك الجوانب تحت مصطلح قديم معروف عندنا هو (اللُّغة) وقد يرد في بعض المترجمات مصطلح (اللِّسان)، وهو مصطلح قديم أيضا، ولكن وروده لا يشير إلى بروز علم جديد هو (اللِّسانيات).

ويلاحظ أنَّ التَّرجمات الأولى التي عددناها ضمن (اللِّسانيات)، وإن لم يذكرها باسمها، إذ الموضوع غالبا هو المعوَّل عليه، كانت سليمة ممَّا اتَّصفت به التَّرجمات الأخرى اللَّاحقة التي واكبت مرحلة الامتداد، والاتِّساع، فقد نهَّد للتَّرجمة قبلا مختصُّون أتقنوا اللُّغتين المنقول منها والمنقول إليها إتقانا ممتازا، ولم يكن فيهم كما ظهر بعد ذلك المتنطِّع أو الدَّخيل أو الشَّادي الذي لا يحسن لغة قومه بله لغة غيرهم التي يريد أن يترجم منها، ولم تكن المصطلحات في التَّرجمات الأولى مشكلة تعيق

عمل المترجم لأسباب كثيرة ذكرنا بعضها سابقا، ولذلك أهمل كثير من هذه التَّرجمات، وضع قوائم مصطلحية تشير إلى دلالات المصطلحات الأجنبية المستخدمة في أثناء التَّرجمة.

ولا تشير هذه القوائم حين وجودها في ذيل بعض التَّرجمات كما رأى- إلى مشكلة تتَّصل بالمصطلحات، إذ لا تعدو أن يكون توضيحا لاحقا يستكمل عمل المترجم الأمين المتمكِّن، وأهمُّ هذه التَّرجمات ترجمة الدُّكتور محمَّد مندور لبحث (علم اللِّسان) لمايبه عام 1946م، وترجمة الدُّكتور تمَّام حسَّان كتاب "اللُّغة في المجتمع" للويس عام 1959م، وترجمة صالح القرمادي لكتاب "دروس في علم أصوات العربية" لكانتينو عام 1966م.

ويلاحظ هنا أنَّ القرمادي وضع فهرسا للألفاظ الاصطلاحية (فرنسي/عربي) ضمَّ (280) مصطلحا، وصار ذلك سنَّة متَّبعة، ويشار في هذا الصَّدد إلى أنَّ الدُّكتور محمود السَّعران هو أوَّل من اعتنى بوضع قوائم الاصطلاحات اللُّغوية منذ عام 1958م، وهناك سبيل آخر من سبل تلقِّي اللِّسانيات هو في حقيقة مريح من الاقتباس والتَّرجمة أضيف إلى التَّرجمة، فأغنى المصطلحات اللِّسانية عددا، وزادها استعمالا في مجالات اختصاصها، ممَّا كان له آثار إيجابية لا تنكر في ترسيخ الدَّرس اللِّساني المحدث في العربية، إذ يغدو الموضوع اللِّساني مستمدًّا من المصادر الأجنبية المتعدِّدة، وموضوعا بطريقة قريبة من التَّأليف بحدوده المنهجية المعروفة، وأمثلة هذا السَّبيل كثيرة، منها كتاب الدُّكتور عبد الصَّبور شاهين "في علم اللُّغة العام" الصَّادر عام 1984م، وكتاب الدُّكتور عبد السَّلام المسدي "الأسلوبية" الصَّادر عام 1974م، وكتاب الدُّكتور عبد السَّلام المسدي الصَّادر عام 1977م، وكتاب الدُّكتور ميشال زكريا "الألسنية علم اللُّغة الحديث المبادئ والأعلام" الصَّادر عام 1980م، وكتاب الدُّكتور أحمد مختار عمر "علم الدلالة" الصَّادر عام 1985م.

ويلاحظ أنَّ هذه الكتب وهي عيض من فيض التزمت انسجاما ومادَّتها الأجنبية المستمدَّة بوضع قوائم اصطلاحية ثنائية اللُّغة مع ما حفلت به من شروح للمصطلحات في أثناء الدَّرس ولاشكَّ أنَّ سبيل الاستمداد الذي نهجته الكتب، صار أكثر السُّبل تمهيدا لدخول المصطلحات

اللِّسانية إلى نسيج اللُّغة العربية دخولا صحيحا، مع تنبُّه أصحاب هذه الكتب إلى موضوع اللِّسانيات علما ومصطلحات، وهو ما غاب عن بعض الكتب المشابهة لها في مرحلة سابقة، وكان من الطَّبيعي أن تؤتي هذه السُّبل المتعدِّدة (الاقتباس والتَّرجمة والاستعداد) ثمارها المرجوَّة، دون أن تثير جوانب سلبية، لو أنَّها تخلَّصت من مشكلات المصادر الأجنبية، وأدواء حياتنا الثَّقافية.

لقد أسهم التَّدافع على موضوع اللِّسانيات، والإكثار من الإسهام فيه، وتعدُّد طرق التَّعامل المصطلحي في إثارة مشكلة المصطلح اللِّساني مقدِّمة على سائر المشكلات اللِّسانية، ومن هنا بدأت الأصوات تتعالى واصفة واقع الدَّرس اللِّساني الرَّاهن ومكان المصطلحات منه أو داعية إلى التَّوحيد أو عاملة على تحقيق ما يمكن تحقيقه سبيل ثمَّ الشَّعث ورأت الصَّدع.[19]

[19]- مبادئ في اللِّسانيات، أحمد محمَّد قدُّور، ص 41-42.

الفصل الأوّل:

مفاهيم عامّة للبنية

تمهيد:

ظهر مصطلح بنية أو بنيوية نتيجة للدِّراسات التي قام بها علماء اللِّسانيات، وذلك في أوائل القرن العشرين، فالبنيوية كمبدأ عامٍّ يستخدم في اللُّغة، والاجتماع، ومختلف العلوم الأخرى، وأنَّ البنية تتألَّف من عناصر، ومكوِّنات جزئية، ولابدَّ أن تكون هذه الأخيرة مترابطة فيما بينها، فمثلا لو أخذنا البنية من النَّاحية الاجتماعية لتبيَّن لنا العادات، والتَّقاليد، والثَّقافة، والقيم، يربطها شيء واحد هو بنية المجتمع، ليس هناك بنيات اجتماعية فقط، بل هناك بنيات أخرى يطلق عليها البنيات اللُّغوية خاضعة لمبدأ عام أو جهاز يعمل حسب قوانين خاصَّة، ومن هنا كانت البنيوية اللُّغوية منهجا، ويعدُّ العالم السّويسري فرديناردد دي سوسير المؤسِّس الأوَّل للبنية، لم يستعمل دي سوسير مصطلح بنية أو البنيوية في محاضراته التي نشرت بعد وفاته، لكن تحدَّث عن مضمونها، وأوَّل مرَّة استعمل هذا المصطلح كان في البيان الذي أعلنه المؤتمر الأوَّل للُّغويين سنة 1929م، وكان من بين المشاركين في هذا المؤتمر ياكوبسون، وَ تروبتسكوي، وبذلك ظهر منهج جديد في دراسة اللُّغة، أطلق عليه المنهج البنيوي.

المبحث الأوَّل: مفهوم البنية:

1- البنية لغة:

ورد في معجم "لسان العرب" لابن منظور (ت 711 هـ): "والبَنْيُ: نَقيضُ الهَدْم، بَنَى البَنَّاءُ البِناءَ بَنْياً وبِناءً وبِنًى، مَقْصُورٌ، وبُنْيَاناً وبِنْيَةً وبِنَايَةً وابْتَنَاه وبَنَّاه؛... يُقَالُ بِنْيَةٌ، وَهِيَ مِثْلُ رِشْوَةٍ ورِشاً كأَنَّ البِنْيَةَ الْهَيْئَةُ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا مِثْلَ المِشْيَة والرِّكْبةِ".[20]

كما ورد مفهوم البنية في معجم "مقاييس اللُّغة" لابن فارس (ت 390 هـ): "(بَنَيَ) الْبَاءُ وَالنُّونُ وَالْيَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ بِنَاءُ الشَّيْءِ بِضَمِّ بَعْضِهِ إِلَى بَعْضٍ. تَقُولُ بَنَيْتُ الْبِنَاءَ أَبْنِيهِ. وَتُسَمَّى مَكَّةُ الْبَنِيَّةَ. وَيُقَالُ قَوْسٌ بَانِيَةٌ، وَهِيَ الَّتِي بَنَتْ عَلَى وَتَرِهَا، وَذَلِكَ أَنْ يَكَادَ وَتَرُهَا يَنْقَطِعُ لِلُصُوقِهِ بِهَا. وَيُقَالُ بُنْيَةٌ وَبُنًى، وَبِنْيَةٌ وَبِنًى بِكَسْرِ الْبَاءِ كَمَا يُقَالَ: جِزْيَةٌ وَجِزًى، وَمِشْيَةٌ وَمِشًى".[21]

وتعريف البنية من وجهة أخرى هي "بنى الكلمة بناءً صاغها، وألزمها البناء"، فيتَّضح لنا من التَّعريفات اللُّغوية أنَّ البنية تدلُّ على ضمِّ الشَّيء، وهي نقيض الهدم، وصيغتها على وزن فِعلة.

إنَّ تعريفات البنية structure من النَّاحية الاصطلاحية كثيرة، فهي مشتقَّة من الأصل اللَّاتيني struere، حيث نجدها في معجم "اللِّسانيات الحديثة" "هي تعاقب وحدات لغوية ذات علاقات معيَّنة".[22]

---

[20]- لسان العرب (المكتبة الشَّاملة)، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414هـ، ج 14، ص 93-94.

[21]- مقاييس اللُّغة (المكتبة الشَّاملة)، ابن فارس، تح: عبد السَّلام محمَّد هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م، ج 1، ص 302-303.

[22]- معجم اللِّسانيات الحديثة إنجليزي عربي سامي عياد وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، (د ط)، 1997م، ص 134.

تُشْتَقُّ كلمة (بنية) في اللُّغات الأوروبية من الأصل اللَّاتيني struere الذي يعني البناء أو الطَّريقة التي يقام بها مبني ما، ثمَّ امتدَّ مفهوم الكلمة ليشمل وضع الأجزاء في مبنى ما من الوجهة النَّظرية الفنية المعمارية، بما يؤدِّي إليه من جمال تشكيلي، وتنصُّ المعاجم الأوروبية، على أنَّ فنَّ المعمار يستخدم هذه الكلمة منذ منتصف القرن السَّابع عشر[23]، ولا يبعد هذا كثيرا عن أصل الكلمة في الاستخدام العربي للدَّلالة على التَّشييد، والبناء، والتَّركيب، على صورة الفعل (بنى) أو الأسماء (بناء) و (بنيان)، وَ (مبنى)، لكن لم ترد فيه، ولا في النُّصوص القديمة كلمة (بنية)، وقد تصوَّره اللُّغويون العرب على أنَّها الهيكل الثَّابت للشَّيء فتحدَّث النحاة عن (البناء) مقابل الإعراب، كما تصوَّروه على أنَّه التَّركيب، والصِّياغة، ومن هنا جاءت تسميتهم للمبنى للمعلوم، وَ (المبنى) للمجهول.[24]

ويتميَّز الاستخدام القديم لكلمة (بنية) في اللُّغات الأوروبية بالوضوح، فقد كانت تدلُّ على الشَّكل الذي يشيَّد به مبنى ما، ثمَّ لم تلبث أن اتَّسعت لتشمل الطَّريقة التي تتكيَّف بها الأجزاء لتكون كلاما، سواء كان جسما حيًّا أو معدنيًّا أو قولا لغويًّا، وتضيف بعض المعاجم الأوروبية فكرة التَّضامن بين الأجزاء، وهي فكرة منظور ضمنا في التَّعريف الأوَّل، لأنَّ المبنى ينهار إن لم يكن هناك تضامن بين أجزائه، وعلى هذا الأساس فإنَّ البنية هي ما يكشف عنه التَّحليل الدَّاخلي للعناصر، والعلاقات القائمة بينها، ووضعها، والنِّظام الذي تتَّخذه، ويكشف هذا التَّحليل عن كلٍّ من العلاقات الجوهرية، والثَّانوية، معتبرا أنَّ النَّوع الأوَّل هو الذي يكوِّن البنية التي تعدُّ هيكل الشَّيء الأساسي أو التَّصميم الذي أقيم طبقا له، والذي يمكن الوصول إليه، واكتشافه في أشياء أخرى شبيهة، أي أنَّنا نرى منذ البداية ظهور فكرة المقارنة للتَّعريف على البنية، لأنَّ البنية تتيح الفرصة لمقارنة الأشياء المتعدِّدة في الواقع، وهذه الفكرة نفسها في أصل المصطلح اللُّغوي هي التي تجعله يتحوَّل فيما بعد إلى منهج خاصٍّ.[25]

---

[23]- نظرية البنائية في النَّقد الأدبي، صلاح فضل، دار الشُّروق، ط 1، 1419هـ-1998م، ص 125.

[24]- المرجع نفسه، ص 125.

[25]- المرجع نفسه، ص 126.

فمفهوم البنية في اللُّغة من خلال ما تقدَّم هو النِّظام، والنَّسق من خلال تعريف دو سوسير للُّغة على أنَّها "نظام من الدَّلائل يعبِّر عمَّا للإنسان من أفكار"[26]، يعني تعريف البنية عند دو سوسير هي التي لا يمكن تعريفها إلَّا بالرُّجوع إليها بوصفها بناءً أو نظاما، أي بالرُّجوع إلى علاقتها الدَّاخلية (الدَّال/المدلول) بدلا من علاقاتها، لأنَّها توظَّف حسب تناقضاتها (سياق اجتماعي، تاريخي)، وعلى الرَّغم من ذلك لم يستخدم دو سوسير كلمة (بنية) وإنَّما استخدم كلمة (نسق) أو (نظام).

كما اشتقَّت كلمة (بنيوية) من بنية structure المأخوذة من الأصل اللَّاتيني struere وجوهرها هو "البناء"، أو الطَّريقة التي يقام بها مبنى ما، ثمَّ امتدَّ مفهوم الكلمة ليشمل وضع الأجزاء في مبنى ما من وجهة النَّظر الفنية المعمارية، وبما يؤدِّي إليه من جمال تشكيلي، وتنصُّ المعاجم الأوروبية على أنَّها استعملت هذه الكلمة منذ منتصف القرن السَّابع عشر "لتنتقل في القرن 18 لفظة (بنية) من المجال المعماري الفني إلى مجال الفلسفة مع الفيلسوف كانط بمعنى بنية الفكر، أمَّا في القرن التَّاسع عشر أدرجت لفظة (بنية) في علم الاجتماع في إطار المحاولة التي قام بها سبنسر sppencer في دراسة التَّنظيم الاجتماعي بمفهومي البنية والوظيفة، معتمدا بذلك على النَّظرية التَّطوُّرية، ليمتدَّ استعمال هذه اللَّفظة في القرن العشرين إلى مجال الأنثروبولوجيا مع كلٍّ من مورقن وَ ليفي ستروش، كما استعملت اللَّفظة أيضا في تحليلات ماكس وَ أنجلز القائمة على مفهوميْ البنية التَّحتية، والبنية الفوقية.[27]

تعدَّدت دلالات لفظة (بنية) من لغة إلى لغة، وحتَّى في اللُّغة الواحدة، بحيث تعني في اللُّغة الفرنسية نظام Ordre، شكل Forme، ترتيب Disposition، أمَّا في اللُّغة العربية يعود مصطلح

[26]- المرجع السَّابق، ص 127.

[27]- المرجع نفسه، ص 127.

وأصل كلمة (بنية) إلى الفعل الثُّلاثي: (بنى، يبني، بناءً)، وتستخدم للدَّلالة على: "التَّشديد، والبناء، والتَّركيب، وتجدر الإشارة إلى أنَّ القرآن الكريم قد استخدم هذا الأصل نيفا وعشرين مرَّة".[28]

قال الله تعالى: ﴿ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ ﴾[29]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾ ﴾[30]

فكلمة (بنية) في لغتنا العربية لا تمثِّل كلمة عادية تجري بكثرة على أقلام الباحثين والكتَّاب، إلَّا أنَّ المعنى الاشتقاقي لهذه الكلمة بادي الوضوح لأنَّها تنطوي على دلالة معمارية ترتدُّ بها إلى الفعل الثُّلاثي (بنى، بناء، وبناية، وبنية) وقد يكون بنية الشَّيء –في اللُّغة العربية– هي (تكوين)، ولكن الكلمة قد تعني أيضا "الكيفية التي شيِّد على نحوها هذا البناء أو ذاك"، ومن هنا فإنَّنا قد نتحدَّث عن (بنية المجتمع) أو (بنية الشَّخصية) أو (بنية اللُّغة)... إلخ، وحين كان أهل اللِّسان العرب يفرِّقون في اللُّغة بين (المعنى) وَ (المبنى) فإنَّهم كانوا يعنون بكلمة (مبنى) ما يعنيه اليوم بعض علماء اللُّغة بكلمة (بنية)، وأمَّا في اللُّغات الأجنبية، فإنَّ كلمة (structure) مشتقَّة من الفعل اللَّاتيني (struere) بمعنى (يبني) أو (يشيِّد)، وحين تكون للشَّيء (بنية) في اللُّغات الأوروبية فإنَّ معنى هذا –أوَّلا وقبل شيء– أنَّه ليس بشيء غير منتظم أو عديم الشَّكل amorphe، بل هو موضوع منتظم له (صورته) الخاصَّة، و (وحدته) الذَّاتية، وهنا يظهر ضرب من التَّقارب الأوَّلي بين معنى (البنية)، ومعنى (الصُّورة)

[28]– البنيوية (قراءة في المفهوم)، دومة كنزة، مجلَّة المصطلح، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، العدد 5، 2006م–2007م، ص 147–158.

[29]– سورة النَّازعات، الآية 27.

[30]– سورة الكهف، الآية 20.

Forme مادامت كلمة (بنية) في أصلها تحمل معنى (المجموع) أو (الكل) المؤلَّف من ظواهر متماسكة يتوقَّف على ما عداه، ويتحدَّد من خلال علاقته بما عداه.[31]

2- البنية اصطلاحا:

يحدِّد بعض الباحثين البنية بأنَّها "ترجمة لمجموعة من العلاقات بين عناصر مختلفة أو عمليات أوَّلية على شرط أن يصل الباحث إلى تحديد خصائص المجموعة، والعلاقات القائمة فيما بينها من وجهة نظر معيَّنة، ومع ذلك فمن الملاحظ أنَّه كلَّما اجتمعت بعض العناصر في كلٍّ ما نجمت عنها أبنية يتَّسم تركيبها بالاطِّراد هي التَّنظيم، وتعتبر فكرة العلاقة صائبة على مستوى الأبنية، ولكنَّها عندما تدخل في التَّنظيم تكتسب عنصرا جديدا هو الاتِّصال، فالبنية تتميَّز بالعلاقات، والتَّنظيم بالتَّواصل بين عناصره المختلفة، وعلاقة التَّواصل هي الوظيفة التي تقوم بها العناصر في النِّظام[32]، وطبقا لهذا فإنَّ التَّحليل البنائي يبحث عن مجموعة العناصر، وعلاقتها المتشابكة.

أمَّا التَّحليل الوظيفي فهو يهدف إلى اكتشاف عمليات التَّواصل داخل النِّظام نفسه، ويتوقَّف مفهوم البنية على السِّياق بشكل واضح، حتَّى أنَّ الفكر البنائي يعدُّ من هذه النَّاحية فكرا لا مركزيًّا، إذ أنَّ محور العلاقات لا يتحدَّد مسبقا، وإنَّما يختلف موقفه باستمرار داخل النِّظام الذي يضمُّه مع غيره من العناصر، وقد لعب علم اللُّغة دورا حاسما في تحديد هذا المفهوم عندما انتهى إلى أنَّه لا يمكن تحديد أيَّ عنصر منفصل إلَّا بعلاقته الخلافية مع العناصر الأخرى.

ويميِّز بعض الباحثين في هذا الصَّدد بين نوعين من السِّياق: نوع يستخدم فيه بطريقة عملية فحسب، ومن أمثلة الاستخدام الأوَّل ما نجده في الفلسفة، والاجتماع، وعلم النَّفس الذي يعتمد على نظرية (الجشطالت)، ومن أمثلة الاستخدام الآخر ما نجده في بعض الدِّراسات الرِّياضية، وأمَّا

[31]- مشكلة البنية، زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، (د ط)، (د ت)، ص 25.

[32]- نظرية البنائية في النَّقد الأدبي، صلاح فضل، ص 125.

الخاصِّية الثَّالثة (المرونة) فهي نتيجة لما سبق، إذ أنَّ مصطلح البنية لا يخلو من إبهام واختلاط، ويلعب السِّياق دورا رئيسيًّا في تحديده ممَّا يجعله مرنا بالضَّرورة.[33]

يقصد بالبنية عامَّة مجموعة من الوحدات (المكوِّنات) تربط بينهما علاقات معيَّنة، إمَّا علاقات ترادف (معاقبة) أو علاقات تراكب، أمَّا من حيث طبيعتها فإنَّ البنية يمكن أن تكون صرفية، تركيبية أو فونولوجية أو دلالية أو تداولية"[34]، يعني أنَّ البنية وحدة أو مجموعة وحدات إمَّا صرفيًّا، أو تركيبيًّا، أو دلاليًّا، أو نحويًّا.

كما قد تعرَّف البنية بأنَّها: "مجموعة من العناصر تقوم أساسا على التَّفاعل، إنَّ كلَّ عنصر يكتسب قيمته من خلال علاقاته بالعناصر الأخرى، والبنية تحكمها ثلاث مفاهيم هي الشُّمولية، التَّحويل، الضَّبط الذَّاتي"[35]، أي إنَّ البنية أهمّ ما فيها التَّفاعل، فقيمة العنصر يستمدُّه من علاقته بمجموعة العناصر الأخرى.

فمفهوم البنية في اللُّغة من خلال ما تقدَّم هو النِّظام، والنَّسق من خلال تعريف دو سوسير للُّغة على أنَّها "نظام من الدَّلائل يعبِّر عمَّا للإنسان من أفكار"[36]، يعني تعريف البنية عند دو سوسير هي التي لا يمكن تعريفها إلَّا بالرُّجوع إليها بوصفها بناءً أو نظاما، أي بالرُّجوع إلى علاقتها الدَّاخلية (الدَّال/المدلول) بدلا من علاقاتها لأنَّها توظَّف حسب تناقضاتها (سياق اجتماعي، تاريخي)، وعلى الرَّغم من ذلك لم يستخدم دو سوسير كلمة (بنية) وإنَّما استخدم كلمة (نسق) أو (نظام).

---

[33]- مبادئ اللِّسانيات البنيوية (دراسة تحليلية أبستمولوجية)، الطيب دبه، دار القصبة للنَّشر، الجزائر، ط 1، 2001م، ص 41.

[34]- اللِّسانيات الوظيفية المقارنة (دراسة في التَّنميط والتَّطوُّر)، أحمد المتوكِّل، الدَّار العربية للعلوم ناشرون، ط 1، 1433هـ-2012م، ص 18-19.

[35]- نظرية البنائية في النَّقد الأدبي، صلاح فضل، ص 125.

[36]- مفهوم البنية، زواوي بغورة، جامعة قسنطينة، العدد 05، يونيو 1992م، ص 95.

وقد يكون الحديث المعتاد أن نقول لكلِّ (بنية) استعمالات خاصَّة في العلوم المختلفة: من رياضة، ومنطق، وفيزياء، وعلم الأحياء، وأنثروبولوجيا، وعلم النَّفس، ولغويات... إلخ، ولكن أبسط تعريف للبنية هو أن يقال "إنَّها نظام –أو نسق– من المعقولية"، فليست البنية هي صورة الشَّيء، أو هيكله، أو (وحدته المادِّية)، أو (التَّصميم الكلِّي) الذي يربط أجزاءه فحسب، وإنَّما هي أيضا (القانون) الذي يفسِّر تكوين الشَّيء، ومعقوليته.

كما أنَّ التَّعريفات العلمية المختلفة لكلمة (بنية) لدى جماعة من أهل–البنيوية–؛ حيث قدَّم لنا عالم النَّفس السُّويسري المشهور بياجيه حين يقول: "أنَّ البنية لها نسق من التَّحوُّلات، له قوانينه الخاصَّة باعتباره نسقا (في مقابل الخصائص المميِّزة للعناصر)، علما بأنَّ من شأن هذا النَّسق أن يظلَّ قائما، ويزداد ثراء بفضل الدَّور الذي تقوم به العناصر، والتَّحوُّلات نفسها دون أن يكون من شأن هذه التَّحوُّلات أن تخرج عن حدود ذلك النَّسق، أو أن تهيب بأيَّة عناصر أخرى تكون خارجة عنه".[37]

3– البنية عند العلماء اللُّغويين واللِّسانيين:

العالم اللِّساني الفرنسي إيميل، حيث يقول: "إنَّ البنية هي ذلك النِّظام المنسَّق الذي تتَّخذ كلُّ أجزائه بمقتضى رابطة تماسك وتوقف، تجعل من اللُّغة مجموعة منتظمة من الوحدات، أو العلامات المنطوقة التي تتفاعل، ويحدِّد بعضها بعضا على سبيل التَّبادل"[38]، يعني أنَّ البنية نظام يجعل من اللُّغة وحدات منتظمة بعضها ببعض.

ويمكن أيضا الاستشهاد بقول الدُّكتور الزَّواوي بغورة: "تعني البنية الكيفية التي تنظَّم بها عناصر مجموعة ما، أي أنَّها تعني مجموعة من العناصر المتماسكة فيما بينها، بحيث يتوقَّف كلُّ عنصر على

[37]– محاضرات لسانيات الخطاب، أمينة ورفق، ص 11.

[38]– المدخل اللُّغوي في نقد الشِّعر (قراءة بنيوية) مصطفى السَّعدي، ص 175.

باقي العناصر الأخرى، وحيث يتحدَّد هذا العنصر، أو ذلك بعلاقته بمجموعة العناصر"[39]، ويتَّضح من القول أنَّ البنية نظام متماسك، كلُّ عنصر يعتمد على باقي العناصر الأخرى.

ويعود الدُّكتور الزّواوي بغورة لإعطاء تعريف آخر أكثر دقَّة؛ حيث يقول: "لذا يرى كروبير crobir أنَّ أيَّ شيء بشرط أن لا يكون عديم الشَّكل يمتلك بنية، فكلُّ شيء مبني بصورة ما"[40]، فهو يؤكِّد على علاقة البنية بالشَّكل، إذ لا يعقل تصوُّر بنيات عديمة الشَّكل، فالمتتبِّع للمفهوم الاصطلاحي لكلمة بنية عند البنيويين نجد أنَّها: "البنية لا يمكن أن تتحقَّق في النصِّ على نحو غير مكشوف؛ حيث تتطلَّب من المحلِّل البنيوي استكشافها".[41]

ويرى رولان بارث بقوله: "مستعمل بكثرة في جميع العلوم الاجتماعية بكيفية لا تميِّز عند الإنسان، معتقدا أنَّه تقصَّاها، واكتشفها"[42]، ونجد كلمة بنية في اللُّغة العربية تعني "كلُّ ما هو أصل فيه، وجوهري، وثابت لا يتبدَّل بتبديل الأوضاع، والكيفيات".[43]

وعرَّفها العالم اللُّغوي لالاند بقوله: "إنَّ البنية هي كلٌّ مكوَّن من ظواهر متماسكة، أو متضامنة، بحيث يكون كلُّ عنصر فيها متعلِّقا بالعناصر الأخرى، ولا يستطيع أن يكون ذا دلالة إلَّا في نطاق هذا الكلِّ".[44]

---

[39]- المرجع السَّابق، ص 175.

[40]- نظرية البنائية في النَّقد الأدبي، صلاح فضل، ص 127.

[41]- المرجع نفسه، ص 128.

[42]- مبادئ اللِّسانيات البنيوية (دراسة تحليلية أبستمولوجية)، الطيب دبه، ص41.

[43]- البنيوية في الفكر الفلسفي، عمر مهيبل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 2، 1993م، ص 16.

[44]- المرجع نفسه، ص 16.

4- خصائص البنية:

تتَّسم البنية بالخصائص الثَّلاث الآتية: (الكلية، والتَّحوُّلات، والتَّنظيم الذَّاتي)، والمقصود بالسِّمة الأولى من هذه السِّمات ألا وهي:

- **الكلية totalité**: هو أنَّ "البنية لا تتألَّف من عناصر خارجية تراكمية مستقلَّة عن الكل، بل هي تتكوَّن من عناصر داخلية خاضعة للقوانين المميِّزة للنَّسق من حيث هو (نسق)، ولا ترتدُّ قوانين تركيب هذا النَّسق إلى (ارتباطات تراكمية)، بل هي تضفي على (الكل) من حيث هو كذلك خواص "المجموعة باعتبارها سمات متمايزة عن خصائص العناصر"، وليس المهمُّ في البنية هو (العنصر) أو (الكل) وإنَّما المهمُّ هو العلاقات القائمة بين عناصر، أعني عمليات التَّأليف أو (التَّكوين) على اعتبار أنَّ (الكل) ليس إلَّا النَّاتج المترتِّب على تلك العلاقات أو (التَّأليفات)[45] مع ملاحظة أنَّ قانون هذه العلاقات ليس إلَّا قانون (النَّسق) نفسه أو المنظومة نفسها.

والمقصود الثَّاني ألا وهي:

- **التَّحوُّلات transformations**: فهو أنَّ (المجاميع الكلية) تنطوي على ديناميكية ذاتية، تتألَّف من سلسلة من التَّغيُّرات الباطنية التي تحدث داخل (النَّسق)، أو المنظومة خاضعة في الوقت نفسه لقوانين (البنية) الدَّاخلية دون التَّوقُّف على أيَّة عوامل خارجية، وليس الحديث عن ضرب من (التَّوازن الدِّيناميكي) -عند بعض دعاة البنيوية- سوى تعبير عن هذه الحقيقة العامة، ألا وهي أنَّ (البنية) لا يمكن أن تظلَّ في سكون مطلق،

[45]- مشكلة البنية، زكريا إبراهيم، ص 32.

بل هي تقبل دائما التَّغييرات مع ما يتَّفق مع الحاجات المحدَّدة من قبل (علاقات) النَّسق وتعارضاته.[46]

وأمَّا المقصود بالسِّمة الثَّالثة ألا وهي:

- **التَّنظيم الذَّاتي Autoréglage:** فهو أنَّ في وسع البنيات تنظيم نفسها بنفسها، ممَّا يحفظ لها وحدتها، ويكفل لها المحافظة على بقائها، ويحقِّق لها ضربا من (الانغلاق الذَّاتي)، ومعنى هذا أنَّ للبنيات قوانينها الخاصَّة التي لا تجعل منها مجرَّد (مجموعات) ناتجة عن تراكمات عرضية أو ناجمة عن تلاقي بعض العوامل الخارجية المستقلَّة عنها، بل هي (أنسقة) مترابطة تنظِّم ذاتها، سائرة في ذلك على نهج مرسوم وفقا للعمليات المنتظمة، خاضعة لقواعد معيَّنة، ألا وهي قوانين (الكل) الخاص بهذه (البنية) أو تلك، وعلى الرَّغم من أنَّ كلَّ بنية مغلقة على ذاتها، كما أنَّ هذا الانغلاق لا يمنع "البنية الواحدة من أن تندرج تحت (بنية) أخرى أوسع على صورة بنية سفلية" أو (تحتية) sous-structure والمهمُّ أنَّ عملية "التَّنظيم الذَّاتي لابدَّ من أن تتجلَّى على شكل إيقاعات، وتنظيمات، وعملية التَّواصل، فهذه كلُّها عبارة عن آليات بنيوية"، تضمن للبنيات ضربا من الاستمرار، أو المحافظة على الذَّات.[47]

[46] – المرجع السَّابق، ص 33.

[47] – المرجع نفسه، ص 34.

المبحث الثَّاني: مفهوم الخطاب

1- الخطاب لغة:

ورد في معجم "لسان العرب" لابن منظور: "والخِطابُ والمخاطَبَة: مُراجَعَة الكَلامِ، وَقَدْ خاطَبَه بالكَلامِ مُخاطَبَةً وخِطاباً، وهُما يَتخاطَبانِ... ورَجُلٌ خَطِيبٌ: حَسَن الخُطْبَة، وجَمْع الخَطِيب خُطَباءُ، والمخاطَبَة، مُفاعَلَة، مِنَ الخِطاب والمشاوَرَة".[48]

كما ورد مفهوم الخطاب لغة في معجم "مقاييس اللُّغة" لابن فارس: "(خَطَبَ) الْخَاءُ وَالطَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا الْكَلَامُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، يُقَالُ خَاطِبُهُ يُخَاطِبُهُ خِطَابًا، وَالْخُطْبَةُ مِنْ ذَلِكَ، وَالْخُطْبَةُ: الْكَلَامُ الْمَخْطُوبُ بِهِ، وَالْخَطْبُ: الْأَمْرُ يَقَعُ ; وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ لِمَا يَقَعُ فِيهِ مِنَ التَّخَاطُبِ وَالْمُرَاجَعَةِ".[49]

يتبيَّن لنا من خلال هذين التَّعريفين أنَّ الخطاب كلام قد يتمُّ بين متخاطبين أو أكثر، وذلك من أجل إحداث التَّفاعل بين أطراف العملية التَّخاطبية قصد بلوغ الغاية، والأهداف تواتر استعمال مصطلح (الكلام) الذي ارتبط بمصطلح (خطاب) في تعريف التّهانوي: الخطاب في أصل اللُّغة توجيه الكلام نحو الغير ثمَّ نقل إلى الكلام الموجَّه نحو الغير، كما استعمل مصطلح القول مرادفا للكلام أحيانا مقترنا بالخطاب أحيانا أخرى، ولئن وقفنا على مصطلحات أخرى تحلُّ في بعض المواضع محلَّ (الكلام) أو (القول) مثل الحديث، أو العبارة، فإنَّها قليلة الشُّيوع، ولعلَّ ذلك يعود إلى تنوعها للدَّلالة على معان خاصَّة، ف (الحديث)، وإن استعمل في قليل الكلام، وللدَّلالة على كلام الرَّسول، ولهذا

[48]- لسان العرب (المكتبة الشَّاملة)، ابن منظور، ج 1، ص 361.

[49]- مقاييس اللُّغة (المكتبة الشَّاملة)، ابن فارس، ج 2، ص 198.

نجد التّهانوي يركِّز في شرحه لهذا اللَّفظ على معناه الخاص، وإن بدأ بمعناه العام، أمَّا العبارة فهي تختصُّ بالدَّلالة على الخبر عن الشَّيء بما هو عليه من غير زيادة، ولا نقصان.[50]

تنتمي العبارات المشتقَّة من جذر (خ، ط ، ب) إلى حقول دلالية مختلفة، فمثلا الخُطبة برفع الخاء هي لون يضرب إلى الكدرة، وأخطب الميد أي دنا، وأمَّا ما اشتقَّ من هذا الجذر في المعنى الذي نقصده في هذا العمل فنجد: "خطب الخاطب على المنبر" يخطب خطابة، واسم الكلام الخطبة نفسها فالخطبة هي اسم جنس أطلق على نوع مخصوص من الكلام له أصوله، وقواعد.

إنَّ الخطاب مرادف للمفهوم السّويسري الكلام (parole)، وهو معناه المعروف به والكلام هو الإنجاز الفعلي للُّغة، فما دام منسوبا إلى فاعل فهو "وحدة لغوية تتجاوز أبعاد الجملة رسالة أو مقولة"[51]، فالخطاب هو الوحدة اللِّسانية التي تتعدَّى الجملة، وتصبح مرسلة كليا أو ملفوظا.

إنَّ الأصل في معنى الخطاب عند العلماء للعربية: الكلام الموجَّه فقد جاء في "لسان العرب" أنَّ "الخطاب والمخاطَبَة: مُراجَعَة الكَلامِ، وَقَدْ خاطَبَه بالكَلامِ مُخاطَبَةً وخِطاباً، وهُما يَتخاطَبانِ"[52]، وقال أبو البقاء الكفوي في "الكلِّيات": "الخطاب هو الكلام الذي يقصد به الإفهام، وإفهام من هو أهل للفهم، والكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع، فإنَّه لا يسمَّى خطابا"[53]، ويراد بمصطلح الكلام: "اللَّفظ المفيد الذي يحسن الوقوف عليه نحو: الجملة في مقام التَّواصل أو الكلام الكثير".[54]

---

[50]– الفلسفة التَّحليلية ماهيتها مصادرها ومفكِّروها، أحمد عبد الحليم عطية، العتبة العباسية المقدسة المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، لبنان، ط 1، ص 04.

[51]– تحليل الخطاب الأدبي (دراسة تطبيقية)، إبراهيم صحراوي، ط 2، 2003م، ص 15.

[52]– لسان العرب (المكتبة الشَّاملة)، ابن منظور، ج 1، ص 361.

[53]– معجم في المصطلحات والفروق اللُّغوية، أبو البقاء الكفوي، تح: عدنان درويش، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، ط 1، 1412هـ-1992م، ص 32.

[54]– التَّعريفات، الجرجاني، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1992م، ص 419.

2- الخطاب اصطلاحا:

يقصد بالخطاب في معناه العام المتداول في تحليل الخطابات: "يحيل إلى نوع من التَّناول للُّغة أكثر ممَّا يحيل على حقل بحثي محدَّد، فاللُّغة في الخطاب لا تعدُّ اعتباطية، بل نشاط الأفراد، مندرجين في سياقات معينة"[55]، ويعني ذلك أنَّ الخطاب يحيل على استخدام اللُّغة في سياقات مختلفة، ويرد مفردة أو جملة أو نص.

يشير أحمد المتوكل في كتابه "قضايا اللُّغة العربية في اللِّسانيات الوظيفية" بأنَّ الخطاب هو: "كلُّ إنتاج لغوي، يربط فيه ربط تبعية بين بنيته الدَّاخلية، وظروف المقامية"[56]، فمن خلال هذا التَّعريف نفهم أنَّ عبارة: (كلُّ إنتاج لغوي) يقصد ويراد به أنَّ الخطاب غير محدَّد لا من حيث الطُّول، ولا من حيث الحجم، فقد يرد جزءا من الجملة، أمَّا بالنِّسبة لعبارة (تبعية)، فتعني تلك الظُّروف التي تساهم في إنتاج ذلك الخطاب الذي يهدف إلى أداء الوظيفة التَّواصلية، ومنه فإنَّ الخطاب هو كلُّ الكلام أو تعبير لغوي أيًّا كان حجمه، ينتج في ظروف محدَّدة، ومقام معيَّن قصد بلوغ غرضه المتمثِّل في إحداث التَّواصل بين الأفراد.

عرَّف فوكو الخطاب بقوله: "هو أحيانا يعني الميدان العام لمجموع المنطوقات énoncés، وأحيانا أخرى مجموعة متميِّزة من المنطوقات، وأحيانا ثالثة ممارسة لها قواعدها، تدلُّ دلالة وصف على عدد معيَّن من المنطوقات، وتشير إليها"[57]، يعني الخطاب ميدانه المنطوق الذي يعدُّ الوحدة الأوَّلية للخطاب، وجزء أساسيٌّ في العملية التَّخاطبية.

---

[55]- معجم في المصطلحات والفروق اللُّغوية، الكفوي، ص 32.

[56]- الخطاب وخصائص اللُّغة العربية (دراسة في الوظيفة والبنية والنَّمط)، أحمد المتوكِّل، ط 1، 1431هـ-2010م. ص

[57]- الخطاب بحث في بنيته وعلاقاته، فوكو، تر: الزواوي بغورة، بيروت، لبنان، ط 1، 2010م، ص 40.

وتعريف الخطاب عند أحمد المتوكِّل في قوله: "يعدُّ الخطاب كلُّ ملفوظ/مكتوب، يشكِّل وحدة تواصلية قائمة الذَّات"[58]، ومنه يفاد من التَّعريف ثلاثة أمور منها:

- تحييد الثُّنائية التَّقابلية جملة/خطاب؛ حيث أصبح الخطاب شاملا للجملة.
- اعتماد التَّواصلية معيارا للخطابية.
- إقصاء معيار الحجم من تحديد الخطاب؛ حيث أصبح من الممكن أن يعدَّ خطابا كاملا أو جملة أو مركب، يعني جعل الخطاب شاملا للمنطوق، والمكتوب.

وفي تعريف آخر للخطاب عند فوكو بقوله: "مجموعة من المنطوقات بوصفها تنتمي إلى ذات التَّشكيلة الخطابية، فهو ليس وحدة بلاغية أو صورية قابلة لأن تتكرَّر إلى ما لا نهاية، يمكن الوقوف على ظهورها، واستعمالها خلال التَّاريخ، بل هو عبارة عن عدد محصور من المنطوقات التي تستطيع تحديد شروط وجودها"[59]، ومنه الخطاب يتكوَّن من وحدة لغوية قوامها سلسلة من الجمل.[60]

يعرَّف الخطاب عند التِّهانوي توجيه للكلام نحو الغير لإفهام ثمَّ نقل الكلام الموجَّه نحو الغير لإفهام، أمَّا عن حضور المصطلح في التُّراث العربي، فإنَّنا نسجِّل استعماله في القرآن الكريم بصيغة المصدر، والفعل في الآيات التَّالية نحو قوله تعالى: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧﴾[61]، وقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ

[58]- الخطاب وخصائص اللُّغة العربية (دراسة في الوظيفة والبنية والنَّمط)، أحمد المتوكِّل، ص 24.

[59]- المرجع السَّابق، ص 41.

[60]- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، تح: محمَّد يحتاين، الدَّار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط 1، 1428هـ-2008م، ص 35.

[61]- سورة هود، الآية 37.

يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴿٦٣﴾ ﴾[62]، وقوله أيضا: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ﴿٣٧﴾ ﴾.[63]

أمَّا اللُّغوي هاريس يعرِّف الخطاب بأنَّه: "ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة، يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التَّوزيعية، وبشكل يجعلنا نظلُّ في مجال لساني محض"[64]، يدلُّ أنَّ الخطاب نظام من الملفوظات يسعى هاريس إلى تصوُّر تطبيق عليها.

3- الخطاب عند العرب:

تردَّدت مادَّة (خطب) في القرآن الكريم اثني عشر مرة موزَّعة على اثنتي عشر سورة[65]، ورد هذا اللَّفظ في القرآن الكريم بصيغ متعدِّدة، منها صيغة الفعل في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴿٦٣﴾ ﴾، والمصدر في قوله تعالى: ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ﴿٣٧﴾ ﴾، وفي قوله تعالى عن داوود عليه السَّلام: ﴿ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾.[66]

قال محمود عكاشة: الخطاب: "القول الموجَّه المقصود من المتكلِّم (أنا، نحن) إلى المتلقِّي المخاطب (أنت، أنتما، أنتم، هن) لإفهامه قصده من الخطاب صريحا مباشرا أو كناية، أو تعريضا في سياق التَّخاطب التَّواصلي"[67]، وسوف أبيِّن وجوه الخطاب غير المباشر لاحقا في حديثي عن أنواع

---

[62]- سورة الفرقان، الآية 63.

[63]- سورة النَّبأ، الآية 37.

[64]- تحليل الخطاب الرِّوائي، سعيد يقطين، ص 17.

[65]- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، 1986م، ص 235.

[66]- سورة ص، الآية 20.

[67]- الخطاب بحث في بنيته وعلاقته، فوكو زواوي بغورة، بيروت، لبنان، ط 1، 2010م.

الخطاب، وعناصره، وأدواته، وأساليبه، وترجع أصالته في التُّراث الإسلامي إلى إطلاقه على لفظ القرآن الكريم، فقد استخدم العلماء مصطلح الخطاب في سياق التَّفسير والشَّواهد القرآنية والأدلَّة، ويرجع هذا الاختيار الدَّقيق إلى أنَّ مصطلح الخطاب القرآني يشير إلى أنَّ هذا القول موجَّه نحو المتهيِّئين لفهمه، والمكلَّفين به، وأنَّه قول تفاعلي في حدث فعَّال، وليس مدوَّنا، وثابتا فقط، وقد أطلقوا على الأدلَّة الشَّرعية المعتمدة من الكتاب والسنَّة (الخطاب الشَّرعي).[68]

فالخطاب في لفظه شكل لغوي في سياق تفاعلي أو تواصلي، وله أشكال متنوِّعة في ممارسة الأداء: الخُطبة، والخِطبة، والحوار، والمناقشة، والمحاورة، والمداولة، والمجادلة، وما يلحق بهذه الأنواع من فنون القول الموجَّهة، ويعدُّ الخطاب فرع في علم الأداء الصَّوتي، والتَّعبير في معاهد الدَّعوة، والخطابة، والفنون، والصَّوتيات، والتَّشخيص، وقد اشتهر في العلوم الإنسانية الحديثة في مجالات السِّياسة، والإعلام، واللِّسان، والنَّقد، والبلاغة، والأدب.

كما ارتبط مفهوم الخطاب عند العرب بمفهوم التَّخاطب فهو "مُراجَعَة الكَلامِ، وَقَدْ خاطَبَه بالكَلامِ مُخاطَبَةً وخِطاباً، وهُما يَتخاطَبانِ"[69]، ونفهم من كلامه أنَّ الخطاب حوار متبادل بين شخصين على الأقل، فهو عملية تلفُّظية حيوية في الزَّمان، والمكان يديرها شخصان أو أشخاص بالكلام، وبغير الكلام، ولا يختلف هذا التَّعريف في جوهره عن التَّعريفات التي تقدِّمها اللِّسانيات اليوم، إذ أصبح الخطاب في بعض الدَّارسين يعني اللِّسان في حالة الاستعمال، فاعتبر فاير كلاف أنَّ عند استعمال مصطلح الخطاب اقترح المحافظة على اللُّغة المستعملة باعتبارها شكلا من أشكال النَّشاط الاجتماعي، وأصبحت مسألة الإنتاج، والتَّأويل المجرى المركزي في مفهوم الخطاب، فارتبطت بالنَّظرية الاجتماعية التي اعتبرت الخطاب إنتاجا اجتماعيًّا.

---

[68]- التَّعريفات، الجرجاني، ص 419.

[69]- لسان العرب (المكتبة الشَّاملة)، ابن منظور، ج 1، ص 361.

وأدَّى ظهور اللِّسانيات الاجتماعية إلى إعادة النَّظر في مناهج الدِّراسة اللِّسانية بصفة عامَّة، فبرز نهج جديد في تعريف الخطاب، وتحليله خاصَّة في مجال الدِّراسات اللِّسانية الأمريكية التي اعتمدت منحى لسانيًّا اجتماعيًّا، وانتقل البحث اللِّساني من المكتوب إلى الغاية بما هو منجز من الكلام، وأصبح الخطاب يعرف بأنَّه "محاولة لتوسيع نظرية لسانية قادرة، وموحَّدة تعني بإنجاز الكلام الطَّبيعي".[70]

ويبدو أنَّه من خلال التَّعريفات ارتبط مفهوم الخطاب بما هو شفوي، ويعتمد فيه على التَّبادل الكلامي، والمبدأ التَّفاعلي، والإقناعي، والحجاجي بهدف الإفهام، والتَّواصل، وتوجيه المتخاطبين نحو القصد المفهوم؛ حيث ركَّزت اللِّسانيات الحديثة جهودا كثيفة في دراسة الخطاب، وتحليله وفهم آلياته، وأصبح تحليل الخطاب يمثِّل تلك المجالات التي تطرح إشكاليات عميقة لا يتردَّد الباحثون في التَّساؤل عن أسسها، دفع هذا الطَّرح الإشكالي الدَّارسين إلى البحث في مجالات الخطاب المتعدِّدة، فحاولوا تطبيق مناهج عديدة في التَّفسير، والتَّأويل، وتأثَّروا بعلوم أخرى ساعدتهم على التَّطرُّق إلى هذه القضيَّة، فاعتمد تحليل الخطاب أوجها مختلفة حسب العقل أو الحقول التي تمثِّل أنشطة حيوية لديه.[71]

4- الخطاب عند اللِّسانيين:

حاولنا في مادَّة الفلسفة، وتحليل الخطاب أن نحدِّد الانتقالة التي شهدها مصطلح (الخطاب) من حيث الاسم، والمسمَّى من جهة، ومن حيث التَّصوُّر المعرفي، والفلسفي من جهة أخرى، وبرز على هذا أن حدَّدنا بعض الأعلام في هذه المسألة، وخاصَّة مفهوم الخطاب عند هاريس أنَّهم من تناولوا الخطاب تعريفا، ودراسة، وتفصيلا، لكونهم الفئة التي برزت في هذا المخاض النَّسقي، والمعرفي لمفهوم الخطاب، وقلنا إنَّ هذا المصطلح كانت بوادر ظهوره مع العالم التَّوزيعي هاريس سنة 1952م،

[70]- المصطلح اللِّساني وتأسيس المفهوم، خليفة الميساوي، منشورات الاختلاف، ط1، 1434هـ-2013م، ص 178.

[71]- تحليل الخطاب والدَّرس العربي (قراءة لبعض الجهود العربية)، نعيمة سعدية، مجلَّة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمَّد خيضر بسكرة، العدد 04، جانفي 2009، ص 04.

وما وقع فيه هذا الرَّجل أنَّه اهتمَّ بالنَّحو التَّوزيعي للجملة، ومغزاه أنَّ التَّأليف بين أجزاء اللُّغة لا يتمُّ اعتباطيًّا، وإنَّ لكلٍّ عنصر موقعه الخاص في علاقته بالعناصر الأخرى، ويمثِّل للجملة بمجموعات من المركَّبات، ويعتبر هذا النَّموذج محطَّ انتقاد النَّحو التَّوليدي مع تشومسكي من تجاوزها، وسأورد ههنا ما اختصَّ به النَّحو التَّوزيعي.

أ- الخطاب في لسانيات سوسير :

إنَّ الذي استقرَّ لدينا أنَّ سوسير لم يرد مفهوم الخطاب في مشروعيته المعرفي، وإن يعتبر البعض الكلام مرادفا للخطاب عنده، والحال يظهر غير هذا القول لاعتبارات كثيرة، منها أنَّ الخطاب، يحوي ما هو إشاري، وما هو مكتوب، والكلام هو ملفوظ لا غير، وتتباين دلالات المفاهيم بتباين أصلها اللُّغوي من جهة، وإذ لا ترادف في اللُّغة من جهة أخرى، وعليه لا يمكن جعل الخطاب هو الكلام عند سوسير.

ولبيان غياب مفهوم الخطاب في اللِّسانيات السُّويسرية نحدِّد مفهوم اللُّغة باعتبارها منظومة أو بنية مغلقة، بحيث لا يمكن معرفة القوانين المتحكَّمة فيها ما لم نهتم بدراستها ككلّ، فلا معنى إذن لجزء منها إلَّا في إطار الكلِّ الذي هو بنية اللُّغة، وقد قدَّم كتاب "المحاضرات" لفيفا من الثُّنائيات (اللِّسان، والكلام)، إذن اهتمام سوسير بدراسة اللُّغة كبنية مغلقة في ذاتها ومن أجل ذاتها، بمعنى الدِّراسة العلمية في ذاتها، جعله يغفل مفهوم الخطاب باعتبار أنَّ الرَّجل أثر الأهمِّية للِّسان على الكلام في كون أنَّ الأوَّل هو "نسق لغوي قائم في ذاته، وخاص بكلِّ مجتمع على حدة، وهو مجموعة من العلامات العرفية، والاصطلاحية التي يتمُّ التَّوافق حولها ليستعملها أفراد المجتمع، للتَّعبير عن حاجاتهم اليومية العامَّة، والخاصَّة، والكلام هو الممارسة الفعلية للقواعد، والعلامات اللِّسانية أو هو الجانب الإبداعي الفردي من اللُّغة، وهو مرتبط بالذَّات المتكلِّمة، وهكذا يأتي الكلام في المرتبة الثَّانية بعد اللُّغة، فلا يمكن للمتكلِّم أن يستعمل اللُّغة، ويوظِّفها ما لم يكتسبها، ويتعلَّم قواعدها.

ويقول سوسير إنَّ الكلام هو مفهوم ينتمي إلى اللِّسان، نسق بنيوي مغلق، لا يمكن للفرد المتكلِّم أن يغيِّره أو يتصرَّف فيه، ولكن يأخذه بالقوَّة عن المجتمع، هو الذي يجعل الفرد المتكلِّم يكون

على استعداد لغوي في الإطار الجماعي الذي ينتمي إليه، وأمَّا الكلام فهو ظاهرة شخصية، وسلوك فردي خاصٌّ تدخل فيه الذَّات الفردية.

ولعلَّ السَّبب الرَّئيسي الذي غيَّب مفهوم الخطاب عند سوسير هو الغاية الذي حدَّدها فور تعريفه للُّغة، لأنَّ التَّعريف فرع عن التَّصوُّر العام للمنهج المعتمد، وقدَّم لنا بأنَّه سيتناول اللُّغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، وللوصول إلى هذه الغاية قصر الدِّراسة على مفهوم اللِّسان لتوافر الشُّروط العلمية فيه، فهو ثابت، ونسق منغلق، ومؤسِّس على قواعد اجتماعية لا يمكن التَّصرُّف فيها، وهو شكل للعلاقات القائمة بين العلامات اللِّسانية، وفي كونه النَّسق الذي تنتظم عليه اللُّغة، ويحدِّد قيمة كلّ علامة لسانية، الذي لا يسعفه لتحقيق الأسمى فهو غير ثابت لا يمكن التَّحكُّم فيه، وعرضي غير متجانس، ومتعلِّم، وكما اعتبر اللُّغة بمثابة لعبة الشِّطرنج، الذي بنيت على قانون واحد، أجمع عليه النَّاس، لا يمكن تغيُّره، وهذه القوانين هي اللِّسان.

وتمارس اللُّعبة ببيادق معيَّنة هي الكلام، ويمكن استبدالها ببيادق معيَّنة أخرى، ولن يتغيَّر شيء، ولذلك فلعبة الشِّطرنج لغة، تنتظم وفق نسق، وبنية تتكوَّن من أربعة وعشرين مربَّعا، واثنتي عشر بيدقا، وهي اللِّسان، ونعتبرها مجموعة من القواعد، والعلامات، واستثمار هذا النَّسق يكون من قبل الكلام عن طريق تحويل العلامة اللِّسانية وتفعيلهما، هكذا فسِّر الخطاب في اللِّسانيات السِّويسرية، نؤكِّد فيه غياب الخطاب مفهوما، واصطلاحا، وغيابه شرح الأبواب لظهور مناهج أخرى تجيب عن هذا الإشكال، وتملأ فراغاته، ونقول إنَّ البدايات الأولى دائما ما تكون متواضعة، وتواضعها يكون له أجر لنحتَّ مفاهيم أخرى، ومناهج مؤسِّسة على ما لم تهتمُّ به سابقتها، وهذا أمر ستتجاوزه لسانيات التَّلفُّظ مع إميل بنيفينست.

ب- الخطاب في لسانيات التَّلفُّظ:

إميل بنيفينست تصوُّره اللِّساني في كتابه "مسائل اللِّسانيات العامَّة على التَّصوُّر السُّويسري"، وصرَّح بأنَّه لن يقف عندما تناوله الرَّجل، وإنَّما يسعى لتجاوز ذلك، وانتقاد أطروحته القائلة باعتباطية الدَّال والمدلول، وعدم كفاية الكلام لدراسة اللُّغة دراسة علمية، وقدَّم حججا على هذا النَّقد الحاصل بعملية القراءة المشاكسة في منحاها الإيجابي، والاعتماد على التَّكييف، والتَّطويع ثمَّ التَّجاوز، وبناء على هذا نجد حضور مصطلح الخطاب في لسانيات التَّلفُّظ والاهتمام بالذَّات المتكلِّمة، والأخذ بما اعتبره سوسير غير مسعف لتحقيق مبتغاه البنيوي العام، ولبيان هذه المسائل لابدَّ وأن نورد المفاهيم الرَّئيسية داخل النَّسق الإبستمولوجي للسانيات التَّلفُّظ، على اعتبار أنَّ المفاهيم من مبادئ العلم عند المناطقة، ولأنَّ تعريف الشَّيء فرع عن تصوُّره، ونورد هذه المفاهيم فيما يأتي:

- **مفهوم اللُّغة:** يعتبر بنفينست اللُّغة نظاما مجرَّدا مخزَّنة في ذهن الإنسان، لا تتحوَّل إلى كلام حقيقي، ولا إلى جملة أو نصٍّ أو خطاب، إلَّا عند عملية التَّلفُّظ، بمعنى بعد انتهاء الملفوظ الذي يكتسب صورته أو نتيجته في التَّلفُّظ باعتباره فعلا ذاتيًّا للُّغة، وهذا التَّعريف كان لمعرفة البون بين لسانيات سوسير الذي يعتبر اللُّغة بنية مغلقة لامجال للذَّات المفردة فيها، وبين تصوُّر إميل الذي يجعل اللُّغة نسقا، ولكن يتمُّ عبر فعل ذاتي يسخر كلّ ما استقر لديه في ذهنه من العلامات، والقواعد، والإحالة بالضَّمائر، وظروف الزَّمان، والمكان، وكلُّ ما هو سياقي يحيل على المتكلِّم، والمستمع أنا هنا الآن.
- **مفهوم الخطاب:** هو الذي يتمُّ عبر مستويين، أوَّلهما الملفوظ باعتباره قولا، والتَّلفُّظ لكونه إجراء فردي، وفعل ذاتي لما قيل، ومسخَّر للقواعد في استعمال اللُّغة، ويقابل الكلام عند سوسير بمعني إنَّه صورة، وليس شكلا، وعليه "فالخطاب كلُّ مقول يفترض متكلِّما ومستمعا "، بغية التَّأثير والتَّأثُّر.
- **مفهوم التَّلفُّظ:** لا يمكننا الحسم في تعريف واحد للتَّلفُّظ، باعتباره كيمياء بين مجالات متعدِّدة، تارة تجده في الجانب السِّيميائي، وفي ميادين أخرى، ونقصر الأمر فيما يدلُّ

على المقصود في هذا الموضع، يقول مانغونو "التَّلفُّظ هو: تسخير اللُّغة بواسطة الفعل الاستعمال، وهكذا فإنَّ التَّلفُّظ مباين للملفوظ كتباين الفعل عمَّا يترتَّب عنه، يقول ديكرو "التَّلفُّظ هو الحدث المكوَّن بظهور الملفوظ"، بمعنى أنَّ التَّلفُّظ هو الحدث المكوّن بظهور الملفوظ، بمعنى أنَّ التَّلفُّظ فعل فردي عن طريق استعمال اللِّسان في لغة ما ننتج من خلاله ملفوظا، هنا أصبحت للِّسان أهمِّية في تحقيق الخطاب.

التَّلفظ هو فعل القول، والملفوظ هو ما قيل وضع اللُّغة في حركة بمقتضى فعل فردي في الاستعمال، يقول مانغونو "هو وحدة اتِّصالية تبليغية أوَّلية، ومتوالية لغوية ذات معنى وتام (énonce) الملفوظ من حيث التَّركيب كما هو الحال، كما يجعل ديكرو النصَّ مساويا للملفوظ، وذلك بقوله: "الملفوظ وحدة مساوية للنصِّ، أنَّ متوالية لغوية منوطة بمقاصد نفس المتلفِّظ، والتي تشكِّل كيانا لنوع خطابي معيَّن في تحليل الخطاب، قال غسبان "بين الخطاب، والملفوظ تأثير أكيد"، والملفوظ متوالية الجمل المرسلة بين دلاليين، وتتوقَّفين في عملية التَّواصل، والخطاب هو الملفوظ منظورا إليه من وجهة الآلية الخطابية المتحكَّمة فيه.

بناء على هذه المفاهيم يمكن لنا بناء التَّصوُّر العام لحضور مفهوم الخطاب لبنفينست، ونحدِّده أوَّلا في تعريفه للُّغة، إذ جعلها بمثابة اللِّسان عند سوسير بمعنى هي نسق يتمُّ عبر فعل ذاتي أو فردي عن طريق التَّلفُّظ مقابل الكلام، وقد يظهر لك أنَّ هذا مجرَّد إعادة لقول سوسير في كون أنَّ اللِّسان مقابل اللُّغة، والكلام مقابل التَّلفُّظ، نقول هي إشارة لطيفة، نجيب عنها بأنّ سوسير أولى الأهمِّية للِّسان على الكلام، وغيب الذَّات، وإميل سار خلافة فاهتمَّ بالتَّلفُّظ لكونه الجانب الفعلي الذَّاتي للِّسان، ويمكن أن نحدِّد الخطاب كنقطة ثانية في الاهتمام بالجانب العرضي عند سوسير الذي قال عنه إنَّه غير ثابت، وانتقده إميل فقال يمكن حصر الكلام (التَّلفُّظ) عن طريق الإحالات التي تحيل عن المتكلِّمين داخل الخطاب، وهي الضَّمائر، وظروف الزَّمان، والمكان.

وعليه فالخطاب عند إميل بنفينست يقتضي حضور الذَّات المخاطبة، والمتكلِّمة، ويتمُّ بينهما في مستويين: مستوى الملفوظ كمنجز مستقلٍّ عن الذَّات، وباعتباره مجموع الوقائع اللُّغوية التي تظهر في

التَّلفُّظ كمستوي ثان في العملية التَّواصلية، وفيه يتمُّ تسخير النَّسق اللُّغوي في استعمال اللُّغة، وربطها بالفعل الذَّاتي للقول، وإنَّ اللُّغة تقترح بوجه من الوجوه أشكالا فارغة مناسبة لكلِّ متكلِّم يمارس الخطاب يعلِّقها بشخصية معرِّفا نفسه بوصفه (أنا)، ومعرِّفا شريكا له في الوقت ذاته بوصفه (أنت).[72]

المبحث الثَّالث: مفهوم التَّحليل

1- التَّحليل لغة:

تدلُّ كلمة التَّحليل Analysis على معنى التَّقسيم، والتَّفكيك، لكن يختلف معناها باختلاف الشَّيء الذي يفكِّك، وباختلاف النَّتائج التي نتوصَّل إليها فقد يكون التَّحليل واقعيًّا إذا كان الشَّيء المحلَّل شيئا واقعيًّا مثل الكيمياء، وقد يكون عقليًّا يقوم على استنباط قضيَّة من أخرى مثل التَّحليل الرِّياضي.[73]

والتَّحليل في منحاه اللُّغوي مأخوذ من مادَّة (حلل) التي تفيد كلمة فكُّ كلِّ ما هو مركَّب إلى عناصره البسيطة في قاموس "لسان العرب" مادَّة (حلل) وفي قاموس "مختار الصَّحاح" باب (رد)، فهي تعني حلُّ الشَّيء أو فكُّ المركَّب إلى عناصره التي يتكوَّن منها، فإنَّ تحلُّل يعني أن (تفكَّ) من أجل أن تحصل على فهم أفضل لما يتمُّ تحليله، فالكيميائي يهتمُّ بتحليل العناصر الطَّبيعية المركَّبة إلى أجزائها المكوِّنة، وعالم النَّفس يحلِّل الشُّعور الإنساني، والفيلسوف من جهة أخرى ينبغي أن يكون موضوع اهتمامه هو تحليل الوحدات اللُّغوية أو التَّصوُّرات، وهكذا نجد معاني كثيرة للتَّحليل الذي قد يكون عقليًّا فيكون موضوعه فكرة أو قضيَّة، أو تحليلا ماديًّا فيكون موضوعه عنصرا أو شيئا من

[72]- مفهوم الخطاب في الدَّرس اللِّساني، جعفر لعزيز، باحث بسلك الماستر بالمدرسة العليا للأساتذة، جامعة محمَّد الخامس، الرِّباط.

[73]- الفلسفة التَّحليلية ماهيتها مصادرها ومفكِّروها، أحمد عبدالحليم عطية، ص 20

الأشياء، فالتَّحليل يتحدَّد في النِّهاية، بموضوعه[74]، لذا يوجد هناك معان كثيرة متعدِّدة للتَّحليل ممَّا يؤدِّي كما يرى موسى وهبة، إلى شيء من التَّناقض.

والاضطراب فهو مصطلح شأنه شأن المصطلحات الأساسية في الفلسفة، يعاني من اضطراب في الدَّلالة، يجعله متضمِّنا لمدلولات متضاربة، إن لم نقل متناقضة، هذا الحكم يرجع إلى أنَّ معاجم الفلسفة المتداولة، تساهم في زيادة هذا الاضطراب؛ حيث تقتصر في شرح المعاني المتخصِّصة على الخلاصات دون الولوج إلى المقدِّمات المشتركة، ومن هنا ينشأ ما لا يقل عن عشرة معان للتَّحليل أو عشرة استعمالات مختلفة أو متباينة على النَّحو التَّالي، فهو تارة ردُّ المركَّب إلى أجزائه أو عبارة عن مجرَّد التَّقسيم وهو طورًا نهج دراسي متفحصٌ ومستقصِي، يؤدِّي إلى التَّوليف أي إلى ضدِّه، كما في تحليل النُّصوص، كما يعرَّف التَّحليل بأنَّه: "يعني التَّفكيك، تفكيك الشَّيء إلى مكوِّنات جزئية، تتيح لنا معرفة بنياته الدَّاخلية (الصُّغرى، والكبرى)، والخارجية، وبنية التَّفاعل بينهما".[75]

لتحليل الخطاب تحديدات متعدِّدة، إلَّا أنَّ المعنى العام لتحليل الخطاب تحليل استعمال اللُّغة، ونظرا لكون الدَّارسين المعاصرين اهتمُّوا بتحليل شتَّى أشكال الخطابات أصبح لزاما عليهم الاستعانة بالعلوم الإنسانية لتمدَّهم بالآليات الإجرائية للدِّراسة، ومنه نشأت مقاربات التَّحليل: النَّفسية، الاجتماعية، الأنثروبولوجية، التَّواصلية، الفلسفية، البلاغية.

"إنَّ تحليل الخطاب هو غاية في عدم الاستقرار لوجوده في ملتقى العلوم الإنسانية توجد تحليلات تغلب عليها الصِّبغة الاجتماعية، وأخرى تغلب عليها الصِّبغة اللِّسانية، وثالثة تغلب عليها الصِّبغة النَّفسانية، ويضاف إلى هذا التَّفريغ ما بين التيارات من اختلافات"[76]، إذن فلكلِّ نوع من الخطابات إجراءات تحليلية خاصَّة، تسهم في الكشف عن دلالاته.

---

[74]- المرجع السَّابق، ص 25.

[75]- تحليل الخطاب والدَّرس العربي (قراءة لبعض الجهود العربية)، نعيمة سعدية، ص 05.

[76]- المرجع نفسه، ص 45.

والتَّحليل مصطلح جامع يستدعي في ممارسته مصطلحات عديدة بإجرائه عملية إسقاطيه على ما يسمَّى الخطاب، إذ يقوم على الشَّرح، والتَّفسير، والتَّأويل، والعمل على جعل النصِّ واضحا جليًّا، ومن هذا المنطلق يركِّز النَّاقد على اللُّغة، والأسلوب، والعلاقات المتبادلة بين الأجزاء، والكلّ، لكي يصبح معنى النصِّ ورمزيته واضحين، لذا فإنَّ قراءة النصِّ على عجل لا تعدُّ تحليلا[77]، والتَّحليل كما جاء في "لسان العرب" وحَلَّ العُقْدة يَحُلُّها حَلًّا: فتَحَها ونَقَضَها فانْحَلَّتْ"[78]، أي فكَّها، وتحليله، وتحليلنا للشَّيء رجوعنا إلى العناصر الأولى.

2- التَّحليل اصطلاحا:

إنَّ المعنى الاصطلاحي لمفهوم التَّحليل قريب إلى حدٍّ ما من المعنى اللُّغوي له، فالتَّحليل: "إرجاع الأمر إلى عناصره المكوّنة له"[79]، وهذا التَّعريف يبيِّن أنَّ المراد من التَّحليل ما هو ضدُّ الإغرلاق، أي فتح المكوِّنات الأساسية للنصِّ، وقد هذا المصطلح عند بعض المحدثين، ولعلَّ أوَّل من استخدم هذا المصطلح في درسنا اللُّغوي الباحث تمَّام حسَّان، إذ يرد عنده مرَّات عديدة في غير سياق، ويطلقه على الدِّراسة التي تناول النِّظام التَّركيبي قديمة أو حديثة، كما يظهر من استخدامه أنَّه يريد به تجزئة النِّظام أو تفكيكه لمعرفة عناصره التي يشكّل منه".[80]

3- تحليل الخطاب:

لتحليل الخطاب تحديدات متنوِّعة، ويوجد تحديد واسع جدًّا هو تحليل استعمال اللُّغة 1983م، كما هناك تعريف آخر هو دراسة الاستعمال الفعلي للُّغة من قبل ناطقين حقيقيين في أوضاع حقيقية في البلدان الأنجلوساكسونية، خاصَّة العديد من النَّاس ينظرون إنْ قليلا أو كثيرا إلى تحليل الخطاب، وتحليل الحديث وكأنَّهما شيء واحد، نظرا لكونهم يعدُّون الخطاب نشاطا تفاعليًّا

---

[77]- تحليل الخطاب مقدِّمة للقارئ العربي، عبد القادر سلَّامي، ديوان العرب، 18 أكتوبر 2007 www.diwanalarab.com

[78]- لسان العرب (المكتبة الشَّاملة)، ابن منظور، ج 11، ص 169.

[79]- ...

[80]- تعدُّد الأوجه في التَّحليل اللُّغوي، محمَّد حسن جاسم، ص 12.

أساسا، غير أنَّه مع هذه التَّحديدات الغامضة جدًّا، يصعب التَّمييز بين تحليل الخطاب، والتَّخصُّصات الأخرى التي تدرس الخطاب، لذا نرى أنَّه من المستحسن اعتبار تحليل الخطاب التَّخصُّص الذي يدلُّ أن يقدم على التَّحليل اللُّغوي للنصِّ في ذاته أو على التَّحليل السُّوسيولوجي أو النَّفساني لمحتواه يسعى إلى مفصلة articuler تلفُّظه مع موقع اجتماعي بعينه، وهكذا يجد تحليل الخطاب نفسه حيال أنواع الخطابات المشتغلة في قطاعات الفضاء الاجتماعي (المقهى، المدرسة، المحلُّ التِّجاري)، أو في الحقول الخطابية، إذن بإمكان تحليل الخطاب أن يعنى بنفس المدوَّنات على غرار علم الاجتماع، وتحليل الحديث.[81]

ولما كان تحليل الخطاب يقف في مفترق طرق العلوم الإنسانية، فهو عرضة لعدم استقرارهم، ذلك أنَّه يوجد محلِّلون للخطاب هم بالأحرى علماء اجتماع، وآخرون هم بالأحرى لسانيون، والبعض الآخر علماء نفس، بالإضافة إلى هذه التَّقسيمات هناك خلافات بين تيارات متعدِّدة، وهكذا نجد تحليل الخطاب في الولايات المتَّحدة الأمريكية مرسوم بالأنثروبولوجيا، في حين تنامى في فرنسا في الستِّينيات تحليل الخطاب ذو توجُّه لساني بيِّن، ومرسوم بالماركسية، والتَّحليل النَّفسي.[82]

[81]- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، ص 11.

[82]- المرجع نفسه، ص 12.

الفصل الثّاني:

تحليل الخطاب

تمهيد:

يعدُّ تحليل الخطاب تخصُّصا ثريًّا خصبا، اكتسب جدارته المعرفية، وسيادته العلمية لكونه يوفِّر للباحث مداخل منهجية مختلفة لتحليل النُّصوص، والخطابات المختلفة بالنَّظر للمدارس اللِّسانية، والنَّقدية المختلفة، وخلفياتها النَّظرية، ومرجعياتها الفكرية، والمعرفية التي تؤطِّرها وتكيِّف خطابها، كما يعدُّ تحليل الخطاب مولودا شرعيًّا للِّسانيات التَّطبيقية، فهو ميدان لاستثمار المعطيات المنهجية المختلفة التي وفَّرتها اللُّغة في دراسة النُّصوص، والخطابات، وتحليلها على كلِّ المستويات، وقد أصبح مصطلح تحليل الخطاب علما قائما بذاته، له خلفياته النَّظرية، وأسسه المعرفية، وموضوعه، ومناهجه، وإجراءاته التَّطبيقية، ووسائل تحليله، ونتائجه، فقد أصبح يعرف هذا المصطلح إلَّا مع العالم اللِّساني الأمريكي زليغ هاريس 1952م، وإذا كان وجود الخطاب مصطلحا صريحا في التُّراث، فإنَّ تحليل الخطاب موجود باعتباره ممارسة منذ عهد الخليل (ت 175 هـ)، وسيبويه (ت 180 هـ) ووصولا إلى ابن خلدون (ت 808 هـ).[83]

[83]– تحليل الخطاب، محاضرات الأستاذ دنوقة، www.wikipedia.org/wiki/، ص103.

المبحث الثَّالث: تعريف الخطاب اللِّساني: Le discours de linguistique

يعدُّ الخطاب اللِّساني نمطا من أنماط الخطاب العلمي*، يتميَّز بسمات تمنحه خصوصية معيَّنة، كما له أيضا مادَّة أو موضوع أو ظاهرة أو غاية، أو أهداف يودُّ تحقيقها من خلال تطبيقاته المختلفة[84]، أي أنَّه خطاب واضح المعالم والأهداف، له متن محدَّد لتقدِّم مقاربات عديدة حوله، وهو أيضا "التَّحدُّث عن حديثنا عن اللُّغة"[85]، هذا يعني أنَّ جلَّ كلام علمي عن ظاهرة لغوية ما، هو خطاب لساني، لأنَّه يتَّخذ من اللُّغة كموضوع وكمادَّة أيضا، بغية البحث فيها باستراتيجية محدِّدة لاستيعاب كلِّ "قضايا اللِّسان من حيث نواميسه المركزية بصرف النَّظر عن الخصوصيات النَّوعية النَّابعة عن لغة معيَّنة أو مجموعة من اللُّغات التي تكوِّن أسرة واحدة"[86]، ممَّا يعني أنَّ هناك مقاربات متعدِّدة الرُّؤى والأهداف، تهتمُّ بصورة المعرفة اللِّسانية، واللَّافت للانتباه أنَّ علماءنا القدامى استعملوا مصطلح علم اللِّسان للدَّلالة على كلِّ دراسة خاصَّة باللِّسان، تميِّز لها بما هو خارج عنها، من علم الأصول، وعلم الحديث، وعلم المنطق، وعلم الحساب، وغيرها من فنون المعرفة".[87]

وهذا مثبوت في "مخصَّص" ابن سيدة، وَ "مقدِّمة" ابن خلدون، عموما فالخطاب اللِّساني خطاب معرفيٌّ يهتمُّ بدراسة اللُّغة من حيث البنية، والتَّركيب، والدَّلالة، والجانب الكلامي من اللُّغة وكلُّ التَّغييرات التي تلحق الظَّاهرة اللُّغوية، والسِّياقات المتعلِّقة بها.

تحليل الخطاب اللِّساني: تحليل الخطاب Discoure Analyses هو كيفية استعمال النَّاس اللُّغة أداة للتَّواصل، وكيف يؤلِّف المتكلِّم رسائل قويَّة يوجِّهها إلى المتلقِّي، فيقوم هذا بمعالجتها لغويًّا على

---

*- الخطاب العلمي: خطاب علمي واصف، خطاب علمي تقريري، خطاب علمي تفسيري.

[84]- الخطاب اللِّساني العربي بين التُّراث والحداثة، بشرير إبرير، ص 87.

[85]- مباحث تأسيسية في اللِّسانيات، عبد السَّلام المسدي، مؤسَّسات عبد الكريم بن عبد الله، دار الكتاب الجديدة المتَّحدة، تونس، (د ط)، 2010م، ص 18.

[86]- المرجع نفسه، ص 19.

[87]- التَّفكير اللِّساني الحضارة العربية، عبد السَّلام المسدي، دار الكتاب الجديدة المتَّحدة، ط 3، 2009م، ص 431-432.

نحو خاصٍّ لتفسيرها[88]، والذي قد يحصر في الكلام بين متكلِّمين قد يستخدمان وسائط متعدِّدة للتَّواصل، يمكن أن تكون شفهية أو مكتوبة أو مرئية أو حركية أو لمسية، وكثيرة هي طرق التَّواصل، وأشكاله التي يستعين بها إنسان في حياته اليومية لقضاء أغراضه المعرفية، تعدَّدت مفاهيم الخطاب في اللِّسانيات بتعدُّد طرق التَّواصل، وأشكاله التَّخاطبية؛ حيث ركَّزت اللِّسانيات جهودا كثيفة في دراسة الخطاب، وتحليله، وفهم آلياته، وأصبح تحليل الخطاب يمثِّل تلك المحاولات التي تطرح إشكاليات عميقة لا يتردَّد الباحثون في التَّساؤل عن أسسها[89]، لذا يعتبر الخطاب اللِّساني لونا من ألوان الخطاب العلمي، والخطاب اللِّساني هو "التَّحدُّث عن حديثا عن اللُّغة"[90]، وعلى هذا الأساس يجوز لنا اعتبار كلُّ كلام عن الظَّاهرة اللُّغوية، ويتَّصف بالعلمية خطابا لسانيًّا، فما كتبه دي سوسير وَ تشومكسي وَ الفاسي الفهري وَ المسدي وَ أحمد المتوكِّل، وغيرهم كثير، كلُّها خطابات لسانية لأنَّها تتَّخذ اللُّغة كمادَّة أو موضوع بغرض بحثها وفق معطيات منهجية محدَّدة، وفي كتاب "العمدة" الذي يحمل عنوان "تحليل الخطاب" Discoure Analyses، والذي يمثِّل التَّحليل اللِّساني للخطاب، يشير المؤلِّفان اللَّذان اشتركا في تأليفه، وذلك في الكتاب إلى مصطلح تحليل الخطاب، وكيف أنَّه صار يستخدم بعدد كبير من المعاني التي تنسحب على ألوان كثيرة من النَّشاط[91]، فتحليل الخطاب قائم على لغة التَّواصل، والخطاب في رأينا يقوم على ثلاثة مراحل: المرحلة الأولى السِّياق الذي يجري فيه التَّواصل بكلِّ أبعاده المؤثِّرة، ثمَّ تحديد العلاقة بين السِّياق والعلامة المستعملة، ليتمَّ اختيار الاستراتيجية الخطابية الملائمة، والمرحلة الأخيرة ألا وهي التَّلفُّظ بالخطاب.

---

[88]- أبحاث في علم اللُّغة النصِّي وتحليل الخطاب، جاسم علي جاسم، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ص 182.

[89]- المرجع نفسه، ص 183.

[90]- مباحث تأسيسية في اللِّسانيات، عبد السَّلام المسدي، ص 18.

[91]- مقدِّمة في نظريات الخطاب، ديان مكدونيل، تر: عزَّ الدِّين إسماعيل، ط 1، 2001م، ص 22.

المبحث الثَّاني: آليات تحليل الخطاب اللِّساني:

1- المقاربة التَّلفظية:

تعتمد هذه المقاربة على ربط العديد من العناصر اللُّغوية بعوامل خارجية، في إطار دراسة شروط إنتاج الخطاب، وفهم آليات توظيف اللُّغة، ويعدُّ اللِّساني الفرنسي إيميل بنفينست هو مؤسِّس هذه المقاربة التي سمِّيت بنظرية التَّلفُّظ، ومن بين المواضيع التي تدرسها الآثار التي تشير إلى عنصر الذَّاتية في الخطاب، ويخضع هذا الأخير لوضعية تشكِّل فيها أسماء بنفينست بالجهاز الشَّكلاني للتَّلفظ فتتكفَّل هذه المقاربة بدراسة المبهمات.

2- المقاربة التَّبليغية:

يعدُّ اللِّساني رومان ياكوبسون مؤسِّس هذه المقاربة وذلك بحصر مكوِّنات العملية التَّبليغية في ستَّة عناصر: المرسل، الوضع، المرجع، القناة، والخطاب، وقد أسند لكلِّ عنصر من هذه العناصر الوظيفة التَّعبيرية للمرسل، الوظيفة التَّبليغية للمتلقِّي، الوظيفة الاصطلاحية للخطاب، ولقد اعتبر الوظيفة التَّبليغية أهمَّ وظيفة، وباقي الوظائف تتمحور حولها، لأنَّ التَّبليغ هو الماهية الأولى للُّغة، يعترف ياكوبسون نفسه أنَّه من الصَّعب إيجاد خطابات تنحصر تماما في وظيفة من هذه الوظائف الستَّة، ومنه فإنَّ الصِّيغة الكلامية لأيّ خطاب تخضع للوظيفة المهيمنة.

3- مقاربة تحليل المحادثة:

تدخل هذه المقاربة ضمن الأعمال التي تعتبر اللُّغة نشاطا اجتماعيًّا تفاعليًّا، والتي نشأت في الولايات المتَّحدة الأمريكية في نهاية الثَّمانيات، وقد جاء في معجم "تحليل الخطاب" أنَّه ليس من السَّهل بما كان الحديث عن تحديد مصطلح المحادثة، فهو في المجتمع، وبمعنى أخصُّ أنماط يستخدم بالمعنى العام يقصد به التَّبادلات الكلامية الحقيقية الأحاديث authentiques معيَّنة بغضِّ النَّظر عن المقامات، والأزمنة التي صدرت عنها.

4- المقاربة السُّوسيولغوية:

تخضع هذه المقاربة نحو المتكلِّم المثالي (بمفهوم تشومسكي) لنحو الجماعة اللُّغوية، استطاع أن يحدِّد التَّنوُّع اللُّغوي المتجلِّي في مجموعة لغوية ما، باختلاف فئاتها من حيث السنِّ، الجنس، مستوى التَّكوين، المستوي الاقتصادي، الأصل، فتحليل الخطاب يسعى إلى دراسة المرامي الكلامية في الاتِّصال اللُّغوي من أجل الوصول إلى أقصى حدٍّ من المقروئية التي تعتبر نشاطا تفاعليًّا بين المتكلِّم والمستمع، أي المؤلِّف والخطاب والقارئ "إذ تسعى هذه العملية إلى تفكيك الخطاب المحبوك المتماسك (شكلا ودلالة) المكتوب، والمسموع إلى بنيات جزئية فاعلة، ومتفاعلة: داخلية، وخارجية من أجل معرفة مختلفة المرجعيات الخطابية (الأسس المعرفية، والأطر النَّظرية للخطاب) التي ساهمت في تشكُّله بمعرفة مضامينه: محتوياته، غايته، معاييره، فضائه، بنياته... إلخ، ليتحقَّق التَّحليل، الأمر الذي يجعل العملية غاية في التَّشابك ،والتَّعقيد، تتطلَّب معرفة موسوعية عميقة في التَّخصُّص تحوفها معارف وروافد أخرى "ارتبط مجال تحليل الخطاب بمفهوم الخطاب، وقد عرف هذا المصطلح اضطرابا من ناحية المفهوم لارتباطه بتصوُّرات مختلفة للُّغة، فهناك من يربطه بالنصِّ وهناك من يربطه باستخدام اللُّغة ضمن سياق خاصٍّ، وانطلاقا من النصِّ، والسِّياق، أي الظُّروف الخارجية المرتبطة بالنصِّ، يغدو تحليل الخطاب "كلُّ تقنية تسعى إلى التَّأسيس العام، والشَّكلي للرَّوابط الموجودة بين الوحدات اللُّغوية للخطاب المنطوق أو المكتوب، في مستوى أعلى من مستوى الجملة، هذا الإقرار بوجود مستوى -من النَّاحية الإجرائية- أعلى من مستوى الجملة، هو الذي فتح المجال لتعريفات أخرى أخذت بعين الاعتبار العناصر الخارجية غير اللُّغوية، وهو الأمر الذي أحدث تذبذبا في المفهوم" فبنية الخطاب هي الموضوع المركزي لتحليل الخطاب، ولا يمكن لهذه البنية أن تقتصر على القول الذي ينجزه المخاطب في زمان، ومكان معيَّنين، وإنَّما تتعدَّى ذلك لتشمل الفعل القصدي ذو الأبعاد النَّفسية، والاجتماعية، فيصبح تحليل الخطاب حينها متعدِّد الغايات بصفته عملا مؤثِّرا يمكن وصفه، وتحليله، وضبط آليات عمله، وتفسير اشتغاله في حدث التَّخاطب.

إنَّ تحليل الخطاب بالضَّرورة تحليل اللُّغة في الاستعمال، لذلك لا يمكن أن ينحصر في الوصف المجرَّد للأشكال اللُّغوية، بعيدا عن الأغراض أو الوظائف التي وضعت هذه الأشكال لتحقيقها بين النَّاس، وإذا كان بعض اللِّسانيين مهتمِّين بتحديد الخصائص الشَّكلية للُّغة، فإنَّ محلِّل الخطاب ملزم بالبحث في ما تستعمل تلك اللُّغة من أجله، وإذا كانت للمنهج الشَّكلي تقاليد عريقة نراها مجسَّمة في عدد لا يحصى من كتب النَّحو، فإنَّ الدِّراسات الممثِّلة للمنهج الوظيفي أقلُّ عددا، كما أنَّ المحاولات الهادفة إلى وضع مجموعة، ولو عامَّة من المصطلحات لتحديد الوظائف الأساسية للُّغة سوى عدد من المصطلحات الغامضة التي يغلب عليها طابع اللُّبس، ولهذا فلن نستعمل هنا سوى مصطلحين نحدِّد بهما الوظيفتين الرَّئيسيتين للُّغة، ونؤكِّد أنَّنا لم نلجأ إلى هذا التَّقسيم إلَّا تحقيقا للجدوى التَّحليلية، فمن المستبعد أن تستعمل عبارة ما من عبارات لغة طبيعية في أيِّ ظرف من الظُّروف لأداء وظيفة واحدة فقط مع استبعاد الوظيفة الأخرى بصفة كلية، أمَّا الوظيفة الأولى التي تؤدِّيها اللُّغة، والمتمثِّلة في التَّعبير عن المضامين فنسمِّيها وظيفة (تعاملية)،وأمَّا الوظيفة المتمثِّلة في التَّعبير عن العلاقات الاجتماعية، والمواقف الشَّخصية فنسمِّيها وظيفة (تفاعلية)".[92]

ولمصطلح (تحليل الخطاب) دلالات مختلفة بالنِّسبة للباحثين في شتَّى مجالات الدَّرس اللُّغوي، ففي نظر عالم اللُّغة الاجتماعي مثلا، يتَّصل هذا المصطلح أساسا ببنية التَّفاعل الاجتماعي كما تتجلَّى في الحوار اللُّغوي، وهو في نظر عالم اللُّغة النَّفسي ذو صلة بالطَّريقة التي يتمُّ بها فهم النُّصوص القصيرة المكتوبة[93]، فتحليل الخطاب هو مصطلح جامع، له عدَّة استعمالات، يشمل على مجالات واسعة من الأنشطة منها: الاجتماعية، النَّفسية، الأسلوبية... إلخ، ساهم بشكل فعَّال في تكوينه إلى تحليل وفكِّ الخطاب من أجل الفهم على اختلاف أنواعه (أدبي، شعري، نثري).[94]

---

[92]- الخطاب، سارة ميلز، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط 1، 2016م، ص 150.

[93]- المرجع نفسه، ص 151.

[94]- الخطاب اللِّساني العربي بين التُّراث والحداثة، بشرير إبرير، مجلَّة الرافد، العدد 47، 2001م، ص87.

قد يعدُّ تحليل الخطاب ردَّ فعل لعلم اللُّغة التَّقليدي (علم اللُّغة التَّركيبي الشَّكلي) الذي يركِّز على الوحدات الأساسية، وتركيب الجملة، ولا يهتمُّ بتحليل اللُّغة المتداولة*، وتحليل الخطاب، وعلى خلاف علم اللُّغة الشَّكلي يهتمُّ بتطبيق مفهوم التَّركيب فوق مستوى الجملة، أي أخذ قياس العلاقات النَّحوية كالفعل –الفاعل– المفعول، وتطبيقه على تحليل نصٍّ أطول، وبما أنَّ من النَّادر أن يتواصل المرء مع غيره من خلال جمل فقط، فإنَّ محلِّلي الخطاب هؤلاء ينتقدون اتِّجاه اللُّغويين لقصر تركيزهم على تركيب الجملة، يقول مايكل هوى: "يتضمَّن الحوار تبادلا بين فردين من النَّاس أو أكثر، قد ينتج كلُّ طرف فيه أكثر من عبارة واحدة، ويقوم كلُّ إسهام فيه على الإسهامات السَّابقة إمَّا بصورة مباشرة أو غير مباشرة".[95]

إذن فهذا الضَّرب من تحليل الخطاب نشأ عن رغبة لتحليل الوحدات، والبنى الأكبر التي يدركها المتكلِّم، والمستمع ضمنا على مستوى الخطاب لا على مستوى الجملة التي يدركها المتكلِّم هذه البنى الأكبر قد يكون تحليلها أصعب نظرا لطبيعتها غير التي لم تحلَّل، والتي تؤخذ مأخذ التَّسليم.

لتحليل الخطاب أهمِّية بالغة في فتح مجالات جديدة للتَّحليل: بدء تحليل السِّمات التَّنظيمية المنتظمة للُّغة، ومحاولة إيجاد منظومة لتدوين هذه الوحدات التَّنظيمية، وتوصيفها، ومع ذلك فقد وجَّه إليه النَّقد لعدد من الأسباب، أوَّلها أنَّ تحليل الخطاب، وإن كان يتناول اللُّغة المتداولة في السِّياقات اللُّغوية الحقيقية لا يولي اهتماما لكيفية تأثير العلاقات الاجتماعية على إنتاج الكلام أو النُّصوص المكتوبة، وعلى علاقات القوَّة بين الأطراف المشاركة، ولا يهتمُّ بقضايا التَّأويل أو برأي من يأخذ المحلِّل فيما يتعلَّق بوظيفة مفردة بعينها، ويطلق عليها (غير ملحة).[96]

---

*– ينصب اهتمام علم اللُّغة الشَّكلي على بناء الجملة (ترتيب الكلمات) والنَّحو (التَّراكيب واحتمالات ربط عناصر اللُّغة)، كما يرى البعض أنَّ علم اللُّغة يشمل بعض الاهتمام بعلم الدَّلالة (معاني الألفاظ).

[95]– الخطاب، سارة ميلز، ص 150.

[96]– المرجع نفسه، ص 25.

وهكذا فتحليل خطاب النصِّ المكتوب يهدف إلى جعل المعايير، والقواعد الضِّمنية لإنتاج اللُّغة الصَّريحة، وينصبُّ اهتمامه بصفة خاصَّة على كيفية تكوين الخطاب من مجموعة من الوحدات المترتِّبة المركَّبة، أمَّا تحليل الخطاب فيعرِّفه محمَّد خطابي "كلُّ مقاربة تتَّخذ لها موضوعا للوصف وحدة لغوية أكبر من الجملة"[97]، بمعنى أنَّ تصنيف هذه المقاربة في تحليل الخطاب يبنى أساسا على الوحدة اللُّغوية المحلِّلة، وحجمها، وهذا يتكامل مع ما جاء به بول ريكور حين اعتبر أنَّ الخطاب يتطلَّب معنيين هما: الوحدة اللُّغوية، والحجم المراد تحليله، كما يعرِّف جورج مونان تحليل الخطاب بأنَّه "كلُّ تقنية تسعى إلى التَّأسيس العام، والشَّكل للرَّوابط الموجودة بين الوحدات اللُّغوية للخطاب المنطوق، والمكتوب في مستوى أعلى من مستوى الجملة".[98]

المبحث الثَّالث: أساسيات الخطاب اللِّساني: يتميَّز الخطاب اللِّساني بعدَّة نزعات منها:

1- النَّزعة الباكونية:

تتصوَّر الممارسة العلمية نشاطا تجريبيًّا استقرائيًّا استكشافيًّا، وتنتمي إليها التيارات البنيوية بصفة عامَّة؛ حيث يتمُّ العمل في إطار استبعاد التَّأمُّلات الفلسفية ذات الرُّؤى الميتافيزيقية؛ وحيث يتمُّ العمل في إطار استبعاد التَّأمُّلات الفلسفية ذات الرُّؤى الميتافيزيقية؛ وحيث إنَّ المعيار الأوَّل والأخير للحقيقة العلمية هو معيار التَّحقُّق، كما ستعرضه مدرسة فيينا دور العلم، وفق هذا التَّصوُّر، هو ترتيب وتصنيف الملاحظات المستخلصة من التَّجارب، ثمَّ الكشف تدريجيًّا عمَّا يحويه العالم من الأشياء، فيحدِّد خواصَّها وعلاقاتها المتبادلة.

يجد هذا التَّصوُّر أصوله في فلسفات قديمة، كتلك التي شيَّدها فرانسيس بيكون، وقبله أرسطو وصولا إلى أوجيست كونت مع هذه الفلسفات "تحدَّدت المعالم الأساسية لأبستمولوجيا واقعية ساذجة، كما تبلورت الملامح الأساسية لنظرية المعرفة على أنَّها تابعة للموضوع الواقعي، تتميَّز الأبستمولوجيا الباكونية أيضا بربط المعرفة بالمنفعة، والنَّجاعة العلمية، الأمر الذي سيتطوَّر فيما بعد

[97]- لسانيات النصِّ (مدخل إلى انسجام الخطاب)، محمَّد خطابي، المركز الثَّقافي العربي، ط 2، 2006م، ص 47.

[98]- الفلسفة التَّحليلية ماهيتها مصادرها ومفكِّروها، أحمد عبد الحليم عطية، ص 21.

إلى ظهور ما يسمَّى (بالفلسفة الذَّرائعية) خاصَّة في أمريكا، وهي فلسفة لن ينجو منها تأثيرها اللِّسانيون التَّوزيعيون، كما سنقف عنده لاحقا، كما تتميَّز بالقول إنَّ العقل ليس سوى مرآة تعكس الخبرات التي يوفِّرها المحيط، وليس جهازا مفطورا على المعرفة، وهو قولي شكِّل واحدا من أهمِّ أسس البيهافورانية.

2- النَّزعة الكبليرية:

تتصوَّر أنَّ العلم تأمُّل، وافتراض، واستنباط، وإليها ينتمي الموقف التَّوليدي ذي الأسس الأفلاطونية المناهضة للنُّزعة الحسية، هذه النَّزعة مع كاليلي وَ ديكارت، وترسَّخت مع الأبستمولوجيا العقلانية، كما بلورها كارل خاصَّة، ومن بين الأسس التي تقوم عليها هذه النَّزعة أنَّ المعرفة إنتاج عقلي، وأنَّ العقل وحده هو القادر على إدراك العلاقات الرَّابطة فيما بين الأشياء، وسيلته في ذلك قدرته على تجريد الواقع الفيزيقي، ونزع الصِّبغة الشَّيئية عن الظَّواهر، والنَّظر إليها على أنَّها بنيات هندسية تتحدَّد بالأشكال، والمقادير المجرَّدة.[99]

[99]- الأسس الإبستومولوجية للنَّظرية اللِّسانية، محمَّد محمَّد العمري، دار أسامة للنَّشر والتَّوزيع ، ط 1، ص 28.

الفصل الثّالث:

دراسة تطبيقية لخطبة

حجّة الوداع

المبحث الأول: نبذة عن حياة الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم

ولد سيِّد المرسلين صلَّى الله عليه وسلَّم ببني هاشم بمكَّة المكرَّمة في صبيحة يوم الاثنين، التَّاسع من شهر ربيع الأوَّل، عام من حادثة الفيل، ولأربعين سنة خلت من ملك كسرى أنو شروان، ويوافق ذلك العشرين أو الثَّاني والعشرين من شهر أبريل سنة 571م، حسبما حقَّقه العالم الكبير محمَّد سليمان المنصور فوري، والمحقِّق الفلكي محمود باشا[100]، أرضعته والدته الطيِّبة أمينة بنت وهب، ثمَّ أوَّل من أرضعته من المراضع –بعد أمِّه– ثويبة مولاة أبي لهب، وكانت قد أرضعته قبله حمزة بن عبد المطَّلب، وأرضعته بعده أبا سلمة بن عبد الله الأسد المخزومي.[101]

كان اسمه محمَّد أوَّل من سُمِّي بهذا الاسم، فلم يكن معروفا عند العرب في ذلك الوقت، وكان قد اختاره له جدُّه عبد المطَّلب[102]، وعندما بلغ الرَّسول ثماني سنوات وشهرين وعشرة أيَّام من عمره، توفِّي جدُّه عبد المطَّلب بمكَّة، وتكفَّل به عمُّه أبو طالب من بعده، ولما أصبح الرَّسول في الاثنين عشر سنة، أصبح تاجرا في الشَّام؛ حيث لم يكن لديه عمل في أوَّل شبابه، إلَّا الرِّوايات تروي أنَّه كان يرعى الغنم في بني سعد، وفي مكَّة، وفي الخامس والعشرين من عمره، خرج تاجرا إلى الشَّام في مال خديجة، والتي كانت أوَّل زوجة له عليه الصَّلاة والسَّلام، وكان له أولاد منها، منهم: القاسم، وبه كان يكنَّى، ثمَّ زينب، ورقيَّة، وأمُّ كلثوم، وفاطمة، وعبد الله[103]، وقد جمع عدد أزواجه عليه الصَّلاة والسَّلام في خمسة عشر زوجة، منهم عائشة رضي الله عنها، وحفصة، وسودة، وصفيَّة، وغيرهم رضوان الله عليهنَّ.[104]

ولما أكمل الأربعين من السَّنة، بدأت آثار النُّبوَّة تلوح له كحبِّه للاختلاء بنفسه، والعزلة في غار، يدعى غار حراء بمكَّة المكرَّمة، فلقد لقي الرَّسول الكثير من المصاعب والمتاعب في نشره لهذه

---

[100]– الرَّحيق المختوم، صفي الرَّحمان المباركفوي، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، ص 37.

[101]– المرجع نفسه، ص 37.

[102]– فقه السِّيرة، محمَّد العزالي، دار المعرفة، باب الوادي، (د ط)، (د ت)، ص 65.

[103]– الرَّحيق المختوم، صفي الرَّحمان المباركفوي، ص 61.

[104]– المرجع نفسه، ص 62.

الدَّعوة الإسلامية، فهاجر إلى الطَّائف، وإلى المدينة المنوَّرة، وغيرها، ولتنتهي حياة رسولنا الأكرم محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم هذا عن سيرة أحسن الخلق محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم باختصار، وكلُّ هذا لا يعبِّر عن مدى عظم شأنه عليه الصَّلاة والسَّلام، ولم أسرد حياته كاملة مع الإشارة إلى أنَّه قبل وفاته ألقى خطبته الشَّهيرة (حجَّة الوداع) التي كان يودِّع فيها جميع المسلمين ويثبِّتهم على الدِّين الإسلامي.

المبحث الثَّاني: تحليل نصِّ خطبة الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم:

1- البناء الصَّوتي:

أ- الصَّوت لغة:

جاء في "مقاييس اللُّغة" لابن فارس: "(صَوَتَ) الصَّادُ وَالْوَاوُ وَالتَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، وَهُوَ الصَّوْتُ، وَهُوَ جِنْسٌ لِكُلِّ مَا وَقَرَ فِي أُذُنِ السَّامِعِ. يُقَالُ: هَذَا صَوْتُ زَيْدٍ. وَرَجُلٌ صَيِّتٌ، إِذَا كَانَ شَدِيدَ الصَّوْتِ؛ وَصَائِتٌ إِذَا صَاحَ. وَالصِّيتُ: الذِّكْرُ الْحَسَنُ فِي النَّاسِ. يُقَالُ: ذَهَبَ صِيتُهُ".[105]

ب- الصَّوت اصطلاحا:

الصَّوت ظاهرة طبيعية، ندرك أثرها دون أن ندرك كنهها، فقد أثبت علماء الصَّوت بتجارب لا يتطرَّق إليها الشكُّ، أنَّ كلَّ صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتزُّ، على أنَّ تلك الهزَّات لا تدرك بالعين في بعض الحالات، كما أثبتوا أنَّ هزَّات متصدِّر الصَّوت تنتقل في وسط غازي أو سائل أو صلب، حتَّى تصل إلى الأذن الإنسانية، والهواء هو الوسط الذي تنتقل خلاله الهزَّات في معظم الحالات، فخلاله تنتقل الهزَّات من مصدر الصَّوت في شكل موجات، حتَّى تصل إلى الأذن، وسرعة الصَّوت كما قدَّروها العلماء هي حوالي: 333 مترا في الثَّانية.[106]

---

[105]- مقاييس اللُّغة (المكتبة الشَّاملة)، ابن فارس، ج 3، ص 318-319.

[106]- الأصوات اللُّغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 5، 1975م، ص 06.

ج- إحصاء الأصوات المجهورة والمهموسة في نصِّ الخطبة

➢ **الأصوات المجهورة:**

الأصوات المجهورة	عدد تواترها في الخطبة
العين (ع)	41
الظَّاء (ظ)	02
الميم (م)	79
الزَّاي (ز)	05
النُّون (ن)	64
الرَّاء (ر)	31
الجيم (ج)	08
اللَّام (ل)	45
الغين (غ)	08
الضاد (ض)	11
الذَّال (ذ)	09
الياء (ي)	48
الدَّال (د)	18

➢ **الأصوات المهموسة:**

من خلال إحصاء الأصوات المهموسة في خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم نجد:

الأصوات المهموسة	عدد تواترها في الخطبة
الخاء (خ)	03
الصاد (ص)	07
الفاء (ف)	39
الحاء (ح)	20
الثَّاء (ث)	05
الهاء (ه)	34
القاف (ق)	12
الطَّاء (ط)	03

د- علاقة تكرار الأصوات بالمعنى:

➢ **الأصوات المجهورة:**

بعد العملية الإحصائية للأصوات المجهورة في خطبة الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم، يتَّضح لنا التَّكرار البارز للأصوات التَّالية: (الميم، العين، النُّون، الرَّاء، الياء)، وقد تكرَّرت على النَّحو التَّالي:

- ✓ **الميم:** تسعة وسبعون، بنسبة 78.21 %
- ✓ **العين:** واحد وأربعون، بنسبة 40.59 %
- ✓ **النُّون:** أربعة وستُّون، بنسبة 63.36 %
- ✓ **الرَّاء:** واحد وثلاثون، بنسبة 30.69 %
- ✓ **الياء:** ثمانية وأربعون، بنسبة 47.52 %

➢ **الأصوات المهموسة:**

بعد العملية الإحصائية للأصوات المهموسة في خطبة الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم، يتَّضح لنا التَّكرار البارز للأصوات التَّالية: (القاف، الفاء، التَّاء، الكاف)، وقد تكرَّرت على النَّحو التَّالي:

- ✓ **التَّاء:** تسعة وعشرون، بنسبة 43.5 %
- ✓ **القاف:** إحدى عشر، بنسبة 16.5 %
- ✓ **الفاء:** أربعة وعشرون، بنسبة 36 %
- ✓ **الكاف:** ثمانية وأربعون، بنسبة 13.92 %

هـ- البيان الصَّوتي للأصوات المتكرَّرة:

يتَّضح البيان الصَّوتي للأصوات المتكرَّرة (الميم، الرَّاء، النُّون، القاف، الكاف، الفاء) من خلال ما يلي:

➢ **حرف الميم:** صوت مجهور، متوسِّط الشدَّة أو الرَّخاوة، شكله في السُّريانية يشبه المطر، وهو عند العلايلي (للانجماع)، وهذا واحد من معانيه، يحصل صوت هذا الحرف بانطباق الشَّفتين على بعضهما بعضا في ضمَّة متأنِّية، وانفتاحهما عند خروج النَّفس، ولذلك فإنَّ صوته يوحي بذات الأحاسيس اللَّمسية التي تعانيها الشَّفتان لدى انطباقهما على بعضهما بعضا، من اللُّيونة والمرونة والتَّماسك مع شيء من الحرارة، وهكذا صنِّف هذا الحرف بادئ الأمر في زمرة الحروف الإيحائية، وبمطابقة خصائصه الصَّوتية على معاني المصادر التي تبدأ أو تنتهي به.

تبيَّن لي أنَّه يكاد يكون معدوم الشَّخصية، فلم أولِه كبير عناية أو اهتمام، ولم أنتبه إلى خصائصه الإيمائية إلَّا بعد أن اكتشفت مصادفة الخصائص الإيمائية في حرف الفاء كما سيأتي في دراسته، فانطباق الشَّفة على الشَّفة مع حرف الميم يماثل الأحداث الطَّبيعية التي يتمُّ فيها الانغلاق، كما أنَّ ضمَّ الشَّفة على الشَّفة بشيء من الشدَّة، والتَّأنِّي قبيل خروج

صوت الميم يمثِّل بداية الأحداث التي يتمُّ فيه المصُّ بالشَّفتين، والجمع، والضمُّ، أمَّا انفراج الشَّفتين أثناء خروج صوت الميم فهو يمثِّل الأحداث التي يتمُّ فيها التَّوسُّع، والامتداد، وهكذا فإنَّ خصائص صوت هذا الحرف موزَّعة بين اللَّمسي الإيحائي والبصري الإيمائي، مع ملاحظة وجود التَّناقض بين الانغلاق والانفتاح في خصائصه الإيمائية.[107]

- **حرف الرَّاء:** صوت مجهور، متوسِّط الشدَّة والرَّخاوة، شكله في السُّريانية يشبه الرَّأس، قال عنه العلايلي: إنَّه (يدلُّ على الملكة وعلى شيوع الوصف)، تعريف مبهم، لئن كان بعض أصوات الحروف العربية يماثل عظام الإنسان في قساوتها، وبعضها يماثل عضلاته في قوَّتها ومرونتها، وبعضها الآخر يماثل لحمه في ليونته وطراوته، وغيرها يماثل أعصابه في حساسيتها ورهافتها وما إلى ذلك من وظائف أعضاء البدن وخصائص الحروف، فإنَّ صوت حرف الرَّاء من أصوات الحروف، هو أشبه ما يكون بالمفاصل من الجسد، وانطلاقا من خاصية التَّمفصل هذه في صوت (الرَّاء) وفي مفاصل الجسد، قد أدخل العربي هذا الحرف في معظم الأعضاء التي تتَّصل بغيرها بمفاصل غضروفية، منها: الرَّأس، الرَّقبة، المرفق، الرُّكبة، الرَّضفة، الرِّجل، الرَّسغ، الوِرك (الورك)، الفقرة، ويلحق بها الأعضاء التي تتوافق معها في ظاهرة التَّحرُّك، هي: الخصر (لتأوُّده وتثنيه)، الرِّئة (كعضو للتَّنفُّس)، الصَّدر (لظاهرة تحرُّكه أثناء الشَّهيق، والزَّفير، صعودا، وهبوطا)، الشَّعر (لظاهرة نوسانه مع الإنسان أو حركة الجسم)، البصر والنَّظر (لتنقُّلهما المستمرِّ بين المرئيات، (وفي الحقيقة إنَّ حاجة اللُّغة العربية إلى حرف الرَّاء لا تقلُّ عن حاجة الجسد للمفاصل، فلولا صوت الرَّاء لفقدت لغتنا الكثير من مرونتها وحيوتها، وقدرتها الحركية، ولفقدت بالتَّالي الكثير من رشاقتها، ومن مقوِّمات ذوقها الأدبي الرَّفيع، فكما أنَّ مفاصل الجسد تساعد أعضاءه على التَّحرُّك بمرونة في كلِّ الاتِّجاهات، وعلى تكرار الحركة المرَّة بعد المرَّة، فإنَّ حرف الرَّاء بتمفصل صوته (ر، ر، را)، وبرشاقة طرف اللِّسان في أدائه، للعربي الصُّور الصَّوتية المماثلة للصُّور المرئية التي فيها ترجيع،

[107]- خصائص الحروف ومعانيها، حسن عبَّاس، منشورات اتِّحاد الكتاب العربية، (د ط)، 1998م، ص 72.

وتكرار، وتأرجح ذات اليمين، وذات الشِّمال، وذلك "حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث"، كما قال ابن جنِّي: فليس هناك أيُّ حرف في الدُّنيا يستطيع صوته أن يؤدِّي بعض هذه الوظائف، فهو من المقوِّمات الأساسية للُّغة العربية، لا بل ما أحسب أنَّ ثمَّة لغة يمكن أن تخلو منه، ولعلَّ الفرنسيين قد انتبهوا إلى وظيفة حرف الرَّاء في التَّرجيع، والتَّكرار، فجعلوا مقطع الملحق في أوَّل الأفعال، للعودة والتَّكرار، ولكنَّهم لم يدخلوه في صلب اللَّفظة الفرنسية للقيام بهذه المهمَّة، كما فعل العربي إلَّا نادرا، وهم قد انتبهوا إلى هذا النُّقص الأساسي في لغتهم في مرحلة راقية من مراحل تطوُّرها.[108]

- **حرف النُّون**: صوت مجهور، متوسِّط الشدَّة، رسمه في السُّريانية يشبه النَّجم، معناها لغة: شفرة السَّيف أو الحوت أو الدَّواة، ولعلَّ رسمها في العربية قد اقتبس من صورة إحدى هذه المسمَّيات قبل أن يتطوَّر إلى الرَّسم الحالي، فالنُّقطة في النُّون تمثِّل نتوءا عند مقبض السَّيف، أو عين الحوت، أو مرتسم القلم في الدَّواة، يقول العلايلي: إنَّها "للتَّعبير عن البطون في الأشياء"، ويقول عنها الأرسوزي: إنَّها "للتَّعبير عن الصميمية"، والمعنيان صحيحان ومتقاربان، ولكنَّهما قاصران، وهذه الإيحاءات الصَّوتية في النُّون مستمدَّة أصلا من كونها صوتا هيجانيًّا، ينبعث من الصَّميم للتَّعبير عفو الفطرة عن الألم العميق (أنَّ أنينا)، ولذلك كان الصَّوت الرنَّان ذو الطَّابع النُّوني (أي ذو المخرج النُّوني)، الذي تتجاوب اهتزازاته الصَّوتية في التَّجويف الأنفي، هو أصلح الأصوات قاطبة للتَّعبير عن مشاعر الألم والخشوع (المقرئ الشَّيخ عبد الباسط عبد الصَّمد)، على أنَّ صوت النُّون إذا لفظ مخفَّفا مرقَّقا أوحى بالأناقة، والرقَّة، والاستكانة، وإذا لفظ مشدَّدا بعض الشَّيء، أوحى بالانبثاق والخروج من الأشياء، تعبيرا عن البطون والصَّميمية، كما قال العلايلي والأرسوزي، أمَّا إذا لفظ بشيء من الشدَّة والتَّوتُّر، فلابدَّ لموحياته الصَّوتية أن تتجاوز ظاهرة الانبثاق العفوية، إلى النَّفاذ

---

[108] _ ...

القسري والدُّخول في الأشياء، وإذا لفظ بشيء من الخنخنة (إخراج الصَّوت من الأنف)، أوحى بالنَّتانة، والخسَّة.[109]

- **حرف القاف:** يتكوَّن هذا الصَّوت بحبس الهواء الخارج من الرِّئتين حبسا كليا، وذلك بأن يرفع أقصى اللِّسان، حتَّى يلتقي بأدنى الحلق بما في ذلك اللَّهاة، ولا يسمح للهواء بالمرور خلال الأنف، وذلك برفع الحنك اللَّيِّن، يضغط الهواء مدَّة من الزَّمن، ثمَّ يطلق مجرى الهواء بأن ينخفض أقصى اللِّسان فجأة، فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا، ولا يتذبذب الوتران الصَّوتيان أثناء نطق الصَّوت، فالقاف صوت صامت مهموس لهوي انفجاري.[110]
- **حرف الكاف:** يتكوَّن الكاف بأن يتعرَّض الهواء الخارج من الرِّئتين اعتراضا تامًّا، وذلك برفع أقصى اللِّسان، حتَّى يلتقي بأقصى الحنك الأعلى الذي يرفع هو الآخر، ليمنع مرور الهواء إلى الأنف، يضغط الهواء ثمَّ يطلق سراح المجرى الهوائي بأن ينخفض اللِّسان فيندفع الهواء خلال الفم محدثا في اندفاعه صوت انفجاريًّا، لا يتذبذب الوتران الصَّوتيان أثناء نطق الصَّوت، فالكاف صوت صامت مهموس حنكي قصي انفجاري.[111]
- **حرف الفاء:** يتكوَّن الفاء بأن تضغط الشَّفة السُّفلى على الأسنان العليا، بحيث يسمح للهواء أن يشقَّ طريقه بينهما، وخلال الثَّنايا يرفع الحنك اللَّيِّن، فلا يمرُّ الهواء خلال الأنف، لا يتذبذب الوتران الصَّوتيان، فالفاء صامت مهموس شفوي سني احتكاكي.[112]

---

[109]- خصائص الحروف ومعانيها، حسن عبَّاس، ص 72.

[110]- مقدِّمة للقارئ العربي، محمَّد السَّعران، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص 156.

[111]- المرجع نفسه، ص 156.

[112]- المرجع نفسه، ص 172.

2- البناء الصَّرفي:

أ- الصَّرف لغة:

جاء في "مقاييس اللُّغة" لابن فارس: "(صَرَفَ) الصَّادُ وَالرَّاءُ وَالْفَاءُ مُعْظَمُ بَابِهِ يَدُلُّ عَلَى رَجْعِ الشَّيْءِ. مِنْ ذَلِكَ صَرَفْتُ الْقَوْمَ صَرْفًا وَانْصَرَفُوا، إِذَا رَجَعْتَهُمْ فَرَجَعُوا. وَالصَّرِيفُ: اللَّبَنُ سَاعَةَ يُحْلَبُ وَيُنْصَرَفُ بِهِ، وَالصَّرْفُ فِي الْقُرْآنِ: التَّوْبَةُ؛ لِأَنَّهُ يُرْجَعُ بِهِ عَنْ رُتْبَةِ الْمُذْنِبِينَ. وَالصَّرْفَةُ: نَجْمٌ".[113]

ب- الصَّرف اصطلاحا:

يعرِّف علماء العربية علم الصَّرف بأنَّه: "العلم الذي تعرف به كيفية صياغة الأبنية العربية، وأحوال هذه الأبنية التي ليست إعرابا ولا بناء"[114]، غير أنَّ المحدثين يرون أنَّ "كلَّ دراسة تتَّصل بالكلمة أو أحد أجزائها وتؤدِّي إلى خدمة العبارة والجملة أو تؤدِّي إلى اختلاف المعاني النَّحوية، كلُّ دراسة من هذا القبيل هي صرف".[115]

ج- الجملة الفعلية ومكوِّناتها:

الجملة الفعلية هي التي تبدأ بفعل، وهو المسند الذي لابدَّ من مسند إليه، وهو الفاعل، فالفعل والفاعل هما ركنا الإسناد في الجملة الفعلية، كما أنَّ المبتدأ والخبر ركنا الإسناد في الجملة الإسمية، ويسمَّى الفعل الذي يكتفي بفاعله لازما وقاصرا، وغير متعدٍّ، أمَّا الفعل الذي لا يكتفي برفع فاعله فقط، وإنَّما يتعدَّاه إلى نصب مفعول واحد أو أكثر، فسمِّي متعدِّيا، يقول سيبويه: "هذا باب الفاعل الذي يتعدَّاه فعله إلى مفعول، وذلك قوله: (ضرب عبد الله زيدا) فعبد الله ارتفع هنا كما ارتفع في

---

[113]- مقاييس اللُّغة (المكتبة الشَّاملة)، ابن فارس، ج 3، ص 342-343.

[114]- التَّطبيق الصَّرفي، عبده الرَّاجحي، دار النَّهضة العربية للطِّباعة والنَّشر، بيروت، ص 07.

[115]- المرجع نفسه، ص 07.

ذهب، وشغلت ضرب به كما شغلت به ذهب وانتصت زيد لأنَّه مفعول تعدَّى إليه فعل الفاعل ويسمَّى الفعل في هذه الحالة متعدِّيا وواقعا ومجاورا.[116]

وقد وردت الجملة الفعلية بحالاتها الثّلاث: المثبتة والمؤَكَّدة والمنفية في الخطبة النَّبوية، وتنوَّعت أشكال البنى في كلِّ حالة من حالاتها، ففضلا عن تنوُّع الأفعال التي تصدَّرتها ما بين الماضي والمضارع والأمر، فقد اقترن عناصر هذه الجمل بعض التَّقديم والتَّأخير، وزيدت عليها عناصر أضافت أبعادا دلالية إلى المضامين التي عبَّرت عنها، قصد إليها المتكلِّم النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم.[117]

د– الجملة الفعلية المثبتة:

وردت في الخطبة الشَّريفة مجموعة من الجمل الفعلية المثبتة التي تصدَّرتها أفعال ماضية، ومضارعة، وقلَّة تصدرها أفعال الأمر، وقد تنوَّعت العناصر المكوِّنة لهذه الجمل، ممَّا أكسبت المضامين التي تحمل دلالة.[118]

- **الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي:** فعل ماض + فاعل مثال قوله تعالى: ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٧﴾.[119]
- **الجملة الفعلية:** فعل ماض + فاعل (ضمير): قول النَّبي في خطبته صلَّى الله عليه وسلَّم: "فإنْ فعلنَ فإنَّ اللهَ تعالى قد أذنَ لكمْ أن تهجُروهنَّ في المضاجعِ"؛ حيث وقع الفعل الماضي فعلا للشَّرط في محلِّ جزم، وقد جاء الفاعل متمِّما لجملة الشَّرط، ضميرا ظاهرا متَّصلا لجمع الغائبات (نون النِّسوة)، ومنه كذلك قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: "فإنِ انتهَينَ فلهنَّ رزقُهنَّ وكِسوتُهنَّ بالمعروفِ".

---

[116]– خصائص العربية ومعانيها، حسن عبَّاس، ص 172.

[117]– المرجع نفسه، ص 73.

[118]– الجملة الفعلية في خطبة حجَّة الوداع (دراسة تركيبية دلالية)، قنبر مصطفى أحمد، قطر، ج 3، العدد 11، ص 101.

[119]– سورة التَّوبة، الآية 37.

- **الجملة الفعلية:** فعل ماض + فاعل (اسم ظاهر) + مفعول به (مصدر مؤوَّل) "قضى الله أنَّهُ لا ربًا"، جاء الفاعل اسما ظاهرا هو لفظ الجلالة، وجاء المفعول به مصدرا مؤوَّلا.
- **الجملة الفعلية:** فعل ماض + فاعل (ضمير) + مفعول به اسم ظاهر + جار ومجرور+ مضاف إليه، في قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: "واستحللتُم فروجهنَّ بكلمةِ اللهِ"، عطفت هذه الجملة على سابقتها في قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: "وإنَّكم إنَّما أخذتُموهنَّ بأمانةِ اللَّهِ".[120]

3- البناء التَّركيبي:

وهو ثالث المستويات في التَّحليل اللِّساني، وقد اعتنى به العلماء القدامى والمحدثين، وسوف نفصِّل في هذا المستوى بإيجاز، معرِّجين على التَّعريف اللُّغوي والاصطلاحي، وبعض متعلَّقاته.

أ- النَّحو لغة:

جاء في معجم "المصباح المنير" للفيُّومي في مادَّة (نحو) ما نصَّه: "نَحَوْتُ نَحْوَ الشَّيْءِ مِنْ بَابِ قَتَلَ قَصَدْتُ فَالنَّحْوُ الْقَصْدُ وَمِنْهُ النَّحْوُ لِأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ يَنْحُو بِهِ مِنْهَاجَ كَلَامِ الْعَرَبِ إفْرَادًا وَتَرْكِيبًا".[121]

ب- النَّحو اصطلاحا:

عرَّفه ابن جنِّي في كتابه "الخصائص" بقوله: "النَّحو انتحاء سمت كلام العرب في تصرُّفه من إعراب وغيره، كالتَّثنية والجمع والتَّحقير، والتَّكسير، والإضافة والنِّسب، والتَّركيب، ليلحق من ليس من أصل العربية بأهلها في الفصاحة"[122]، ويعرِّفه الشَّريف الجرجاني في كتابه بقوله: "قواعد يعرف بها أحوال أواخر الكلمات العربية التي حصلت بتركيب بعضها مع بعض من إعراب وبناء وما يتبعهما".[123]

---

[120]- الجملة الفعلية في خطبة حجَّة الوداع (دراسة تركيبية دلالية)، قنبر مصطفى أحمد، ص 101.

[121]- المصباح المنير (المكتبة الشَّاملة)، الفيُّومي، مادَّة (نحو)، المكتبة العلمية، بيروت، ج 2، ص 596.

[122]- الجملة الفعلية في خطبة حجَّة الوداع (دراسة تركيبية دلالية)، قنبر مصطفى أحمد، ص 10.

[123]- ...

ومن هذا يتبيَّن أنَّ النَّحو هو قواعد توضِّح الأحوال الإعرابية باختلاف المؤثِّرات الدَّاخلة عليها والمستوي النَّحوي شأنه شأن المستويات الأخرى، له موضوعات يدرسها، فهو يدرس العلاقات الدَّاخلية بين الوحدات اللُّغوية، والطُّرق التي تتألَّف بها الجمل.[124]

جاءت التَّراكيب في خطبة الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم بين الطُّول والقصر، فقد كانت للنَّواسخ حضور بارز نحو إنَّ وأخواتها من أمثلة ذلك نذكر: (إنَّ دماء الجاهلية) وَ (إنَّ ربا الجاهلية) وفي الخطبة تضمَّنت الدُّعاء (اللَّهمَّ)، ولهذا يمكن أن نقول عن هذه الخطبة أنَّها طلبية.

4- البناء الدَّلالي:

يركِّز التَّحليل بشكل كبير على رصد الدَّلالات التي تنبعث من النصِّ، فالنصُّ يتحرَّك ضمن دلالته، أمَّا عن هذه الخطبة فقد كانت معانيها واضحة سهلة غير غامضة، ولا متكلَّفة، وهذا له تأثير في السَّامع، وتدور حول إيمانه بالله سبحانه وتعالى، ومن الأفكار التي كانت تدور حولها الخطبة، وضوح العبارات وظهور معانيها، بحيث يكون الغرض الذي يهدف إليه مفهوما للسَّامعين، ولهذا لا يستعمل الخطيب كلمات لغوية غامضة ولا تعبيرات مجازية بعيدة المعنى، ويختلف موقف الخطيب باختلاف سامعيه، فهو حين يخطب يستعمل العبارات البليغة والمجازات البلاغية.[125]

- تعتمد الخطبة على الجمل القصيرة وعدم الفصل البعيد بين أجزائها.
- في مقامات التَّهويل والإثارة، يحسن استعمال صيغ الاستفهام وصيغ التَّعجُّب، لأنَّها تؤدِّي في هذه المقامات ما لا تؤدِّيه الجمل الخبيرة، والاستفهام الإنكاري يكاد يكون حجة مسلَّما بها.[126]
- تختلف ألفاظ الخطبة وعباراتها بحسب المقام الذي يقال فيه، أي المناسبة وظروف الزَّمان والمكان الذي قيلت فيه الخطبة.

---

[124]- مقدِّمة في علم اللُّغة، البدراوي زهران، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، ط 1، 2008م، ص239.

[125]- الخطابة وإعداد الخطيب، عبد الجليل شلبي، دار الشُّروق، ط 1، 1451هـ-1981م، ص 23.

[126]- ينظر: المرجع نفسه، ص 23-24.

أ- الدَّلالة لغة:

من فعل (دلَّ)، وقد عرَّفها الزَّمخشري في معجمه بقوله: "دلَّه على الطَّريق... وأدلك الطريق اهتديت"[127]، وقد وردت هذه اللَّفظة في القرآن الكريم في نحو قوله تعالى: ﴿ ۞وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَـٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.[128]

ب- الدَّلالة اصطلاحا:

يعرِّفها الرَّاغب الأصفهاني في قوله: "ما يتوصّل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات، والرموز، والكتابة، والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة، أو لم يكن بقصد"[129]، وهي كذلك: "كون الشَّيء بحاله يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشَّيء الأوَّل هو والثَّاني المدلول (كدلالة السَّماء والأرض والجبال على مسمَّياتها)".[130]

والمستوى الدَّلالي هو: "الذي يدرس مكوِّنات المعنى اللُّغوي وعناصره، واختلاف المعاني باختلاف المنشئين للتَّراكيب اللُّغوية، وأهمِّية الكلمة ودورها في أداء المعنى داخل التَّركيب"[131]، وعلم متشعِّب كثيرا، وسوف نمثِّل لذلك بأمثلة موجزة حول بعض المواضع التي لها علاقة بدراسة المعنى وهي كالآتي:

---

[127]- مقدِّمة في علم اللُّغة، البدراوي زهران، ص 247.

[128]- سورة القصص، الآية 12.

[129]- المفردات في غريب القرآن (المكتبة الشَّاملة)، الأصفهاني، تح: صفوان عدنان الدَّاودي، دار القلم، دمشق، بيروت، ط 1، 1412هـ، ص 316-317.

[130]- مقدِّمة في علم اللُّغة، البدراوي زهران، ص 239.

[131]- المرجع نفسه، ص 239.

- **التَّرادف**: وهو دلالة الألفاظ الكثيرة على المعنى الواحد مثل: القمح وَ البُرِّ.
- **المشترك اللَّفظي**: وهو اللَّفظ الدَّال على معنيين متقابلين، ومن أمثلته: الجلل للعظيم والحقير، والصَّارح للمغيث والمستغيث".[132]

5- مضمون خطبة حجَّة الوداع:

هذه الخطبة من الخطب الجامعة، لأنَّها احتوت على تعاليم كثيرة هامَّة، وهي آخر خطبة جامعة لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وتبدو صرامتها في أنَّه صلَّى الله عليه وسلَّم طبَّقها على ذويه قبل أن يطبِّقها على الآخرين، فبدأ بوضع ربا العبَّاس عمِّه، وقد أضاع بهذا العبَّاس مالا كثيرا، ولكن حسبه أن كان له رأس ماله، كما وضع دم ابن عمِّه ربيعة بن الحرث -والحرث أكثر أبناء عبد المطَّلب- وكان له بلاء مشهود يوم بدر، وكانت الطَّريقة الجارية أن يؤخذ بثأره ممَّن قتله، لكن الإسلام يحب ما قبله، لهذا ترك رسول الله هذا الثَّأر[133]، وقد آخى رسول الله بين المسلمين، وجعل دماءهم متكافئة، ونبَّههم في هذا إلى أنَّ أصلهم واحد، وهو آدم، وإنَّما يتفاضلون بالتَّقوى لا بالأجناس، فالله جعلهم شعوبا، وقبائل ليتعارفوا، ولم تغفل الخطبة شأن المرأة، وما لها من حقوق، وما عليها من واجبات.[134]

في الخطبة مقدِّمة ليست هي مجرَّد الحمد، والاستشهاد، ولكنَّها الوصيَّة بالتَّقوى، والعمل الصالح، فهذا أمر بشيء جامع عام، وكلُّ ما بيَّنته الخطبة بعد ذلك، فهو من التَّقوى، والعمل الصَّالح، ثمَّ كان موضوع الخطبة هو التَّعاليم التي ألقيت، ولم يحتج أكثرها إلى دليل، وبرهان، لأنَّها تعاليم النَّبي المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، ولكن بعضها ذكر له تعليل عابر لبيان توجيهه، ولماذا كان على هذا النَّحو[135]، والخطبة ليست طويلة، وليست أيضا قصيرة إزاء ما جاء بها من تعاليم

---

[132]- المرجع السَّابق، ص 239.

[133]- الخطابة وإعداد الخطيب، عبد الجليل شلبي، ص 183.

[134]- المرجع نفسه، ص 182-183.

[135]- المرجع نفسه، ص 182.

شرعية، وقد اختلفت روايتها في كتب التَّاريخ، والسِّير، ولكنَّها على أطول رواية جاءت بها ليست ذات طول، وإنَّما هي ذات توسُّط، وأدنى إلى القصر، وهي نموذج من البلاغة النَّبوية، ونموذج من الإصلاح الاجتماعي الشَّامل، ونموذج من إصلاح الإسلام، لأنَّها تعكس بوضوح جوانب من العادات العربية السيِّئة التي كانت شائعة قبل الإسلام.[136]

6- الخصائص الفنية لخطبة الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم:

- تبدأ خطبة الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم بالتَّحميد، والثَّناء على الله تعالى.
- التَّأثُّر بأسلوب الإقناع والتَّأثُّر بأسلوب القرآن الكريم من حيث الحجَّة، والإقناع والتَّأثير في السَّامعين لدفعهم إلى الإيمان، والتَّصديق.
- الاقتباس من القرآن الكريم باللَّفظ، والمعنى.
- كانت الألفاظ سهلة، وأسلوبها متين، وقوي مع تجنُّب السَّجع، وإيراد الحكم.
- اشتمالها على التَّعاليم الدِّينية، والنَّصائح القومية، ووضعها الأسس القويمة لبناء المجتمع الإسلامي الحديث.
- يوجد توازن، وتقابل بين الجمل، والعبارات لجذب الانتباه، وتعميق التَّأثير، وسرعة الاستجابة.

7- الألفاظ والمعاني:

أبرز ما يميِّز خطبة الرَّسول ومعانيها هو السُّهولة والوضوح، وذلك لأنَّ الخطبة موجَّهة لعامَّة النَّاس جميعا، لذلك كان من صميم الحكمة والتَّوفيق الإلهي، أن تأتي ألفاظه عليه السَّلام على هذا النَّحو من السُّهولة والوضوح وقوَّة الألفاظ، بعيدة عن التَّكلُّف أو التَّصنُّع أو المبالغات، وقد جاءت ألفاظه ومعانيه عليه السَّلام، متأثِّرة بالقرآن الكريم، ولذلك فقد اكتسبت سحرا، وتأثيرا في نفوس السَّامعين، الأمر الذي دفعهم إلى الإسراع في إبلاغ وصاياه عليه السَّلام.

[136]- المرجع السَّابق، ص 183.

8- العاطفة:

ترتكز خطبة الوداع على مجموعة من التَّنظيمات والتَّعليمات التي أراد الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم أن يبلِّغها المسلمين قبل رحيله، حرصا منه عليه السَّلام على وحدة المجتمع المسلم، ولذلك لم تظهر في النصِّ إلَّا عاطفة الحرص من جانب الرَّسول الكريم على الأمَّة الإسلامية.

9- الأسلوب:

اعتمد الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم أسلوبا عقليًّا، قائما على إيراد الحقائق، ومخاطبة العقل، كي يميِّز بين الحقِّ، والباطل، كما اعتمد الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم أسلوبا مؤثِّرا ليشدَّ انتباه السَّامعين إلى أقواله، كما أنَّ أسلوبه عليه السَّلام متينا؛ حيث اعتمد الجمل الفعلية أكثر من غيرها ليكسب النصَّ قوَّة وتأثيرًا.[137]

وإنَّ أوَّل خصوصية في هذا النصِّ، تلك الرَّابطة الوثيقة بين معاني هذه الخطبة، وتدرُّجها في أسلوب الأمر، والنَّهي، والتَّحذير، وترتيب النَّتائج، وحسن الرَّبط بين البدء، والختام بما لا مزيد عليه، والبناء في تركيب الجمل ضمن الألفاظ المفردة تراه يشعُّ بالرَّونق، والطَّلاوة من غير تكلُّف في تخيُّر الألفاظ، وانتقائها، لأنَّ المعنى هو الذي يطلب اللَّفظ فلا تكلُّف، ولا صنعة، إنَّما هي عبارات جزلة فخمة في موضع التَّفخيم ،ليِّنة سهلة في موضع اللِّين، والسُّهولة تطاوع كلَّ لفظة أختها في أداء المعنى، وإقراره.[138]

---

[137]- الخطابة وإعداد الخطيب، عبد الجليل شلبي، ص 23-24.

[138]- من بدائع الأدب الإسلامي (دراسة نقدية لنصوص الخطابة والقصَّة والشِّعر)، محمَّد بن سعد الدبل، ط 2، 1431هـ-2010م، ص 84.

وفي ثنايا هذه الخطبة الشَّريفة عدد من المقابلات العجيبة التي تحقَّق من خلالها ما ساعد على وضوح الفكرة، لأنَّ استعمال الكلمات المتقابلة المتضادَّة ممَّا يزيد في البيان، ويوضِّح خواصَّه على أن يخلو هذا اللَّون من الأسلوب، ممَّا يفضي به إلى الغلوِّ، حتَّى يعود صفة بديعية تفسد الأسلوب.[139]

ونلاحظ تدرُّج الخطبة في عرض موضوعاتها، مبتدئة من أدنى الحقوق الإنسانية، القيم الخلقية، إلى أعلاها، فحين تتحدَّث عن نصيب الإرث تنتقل إلى الحديث عن حقِّ النَّسب من قوله صلَّى الله عليه وسلَّم (أيُّها النَّاس: إنَّ الله قسَّم لكلِّ وارث نصيبه من الميراث، ولا يجوز لوارث وصيَّة في أكثر من الثُّلث) ثمَّ يقول عن حقوق النَّسب (والولد للفراش، وللعاهر الحجر) فهنا عدل في حقٍّ اجتماعي، وآخر قضائي، وهذا منتهى السُّمو في مدارج البلاغة العربية الذي يشفُّ عنه إلهام النُّبوَّة، والقدرة على التَّصرُّف في فنون القول "إذ لم يكن الإسلام الذي يدعو إليه محمَّد، ويوطِّد دعائمه دين جمود، فيقف عند المطالب الأخروية شأن ما سبقه من الأديان، بل جاوزه إلى تحقيق المصالح الدُّنيوية، فكان لابدَّ للشَّارع الحكيم من أن يتعرَّض لكلِّ ما به تصلح أمور البشرية في العقيدة، والتَّشريع، والمعاملات، الحكم، والسِّياسة، والاجتماع، والأخلاق، والفكر[140]، إلى ما هو أدقُّ، وأخطر كمبدأ الصِّلة، والتَّقارب، والتَّحاب بين الأفراد والجماعات، سواء أكان هؤلاء الأفراد والجماعات من ذوي القربى أو من غيرهم، وذلك لخطورة هذه القيم، وصلتها الوثيقة بحماية الفرد والمجتمع، فنرى تلك الخطبة قد تنقَّلت بواسطة هذه الموضوعات من معلِّم إلى معلِّم، ومن غرض إلى غرض، وكلُّ فكرة تحملها، ذات طابع فنِّي جميل.[141]

---

[139] – المرجع السَّابق، ص 85.

[140] – المرجع نفسه، ص 86.

[141] – المرجع نفسه، ص 87.

استنتاج خطبة الوداع:

في الحقيقة هي آخر ما يبقى في آذان السَّامعين وأذهانهم من الخطبة، وفي الخاتمة يتجلَّى نجاح الخطيب في لعبه بعواطف من الخطبة، وفي الخاتمة نهاية الخطبة نظرا للأهمِّية التي تحتويها من كلمات تبقى راسخة في الأذهان، وهي محدَّدة بالأسطر الأخيرة في هذه الخطبة كما يأتي "أيُّها النَّاس، إنَّ الله قسَّم لكلِّ وارث نصيبه من الميراث... اللَّهمَّ فاشهد، اللَّهمَّ فاشهد، اللَّهمَّ اشهد والسَّلام عليكم ورحمة الله"؛ حيث كانت هذه الخاتمة عبارة عن مقطع للعرض فخصَّها بقضيَّة الميراث والابتعاد عن الزِّنا ومسألة النَّسب والتَّبنِّي أيضا وغيرها.

يبيِّن الرَّسول –صلَّى الله عليه وسلَّم– في الخطبة أوامر الإسلام ونواهيه أنَّ دماء المسلمين وأموالهم حرام، وأنَّ كلَّ من كانت عنده أمانة أن يردَّها على صاحبها، وأن على كلِّ مسلم أن يراعي أخاه في ماله، فلا يأخذ منه شيئا إلَّا بالحقِّ، ومن ثمَّ حرَّم الرِّبا وبدأ بعشيرته وتاجرها الموسر العبَّاس عبد المطَّلب فأسقط عن رقاب المدينين له رباه وعلى نحو ما أسقط الرِّبا، أسقط دماء الجاهلية فليس المسلم يثأر لقتيل له، وبدأ بعشيرته فأسقط دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطَّلب، ولم يبق من مآثر الجاهلية شيئا سوى خدمة الكعبة وسقايا الحجيج، وأوجب في قتل العمد ولكن الدَّولة هي التي تقوم به، وبذلك قضى الإسلام على حروبهم الدَّاخلية، وقد جعل في القتل شبه العمد مائة بعير، كلُّ ذلك ليحفظ الجماعة وحدتها ويسود بين أفرادها السَّلام والوئام.[142]

ويحذِّر الرَّسول –صلَّى الله عليه وسلَّم– من الشَّيطان وغواياته، محرِّما للتَّلاعب بالأشهر الحرم واضعا تقويما قمريًّا يتألَّف من اثني عشر شهرا منها أربعة حرم: ذو القعدة وَ ذو الحجَّة وَ المحرَّم وَ رجب، ويرفع من شأن المرأة ومعنى علاقاتها بزوجها، فيجعل لها حقوقا وعليها واجبات، وفي الظَّرفين جميعا يحفظ لها كرامتها كما يحفظ لزوجها نفس الكرامة، داعيا إلى التَّعاطف بينهما والتَّراحم والتَّعامل برفق وإحسان، ويعود إلى العلاقة بين الفرد وجماعته الكبرى من الأمَّة، فيقرِّر أنَّ المؤمنين

[142]– الخطابة الإسلامية، عبد العاطي محمَّد شبلي، المكتب الجامعي الحديث، ط 1، 2006م، ص 44.

إخوة لكلٍّ منهم على صاحبه ما للأخ على أخيه من التَّآزر والتَّعاون والتَّحاب، فلا بطش ولا ظلم ولا نهب ولا حرب ولا سفك للدِّماء، وإنَّه لعهد، من نقضه عاد كافرا آثما قلبه لقد انتهى.

وعلى هذا النَّحو كان الرَّسول صلوات الله عليه، يبيِّن في خطابته حدود الحياة الإسلامية وما ينبغي أن يأخذ به المسلم نفسه في علاقاته الكبرى مع أفراد أمَّته، وعلاقاته الصُّغرى مع أسرته، فإن ترك ذلك فإلى وعض المسلمين، وما ينبغي أن يأخذوا أنفسهم به في سلوكهم حتَّى تزكوا نفوسهم، وفي عبادتهم لربِّهم، وتقواه حتَّى التَّقوى حتَّى لا يزيغوا، ولا ينحرفوا عن الحجَّة، بل يتدرَّجون في مراقي الكمال الإنساني[143]، وهذه الخطبة وسابقتها تصوِّران في دقَّة، حسن منطق الرَّسول في خطابته، وأنَّه لم يكن يستعين فيها بسجع، ولا بلفظ غريب، فقد كان يكره اللَّونين جميعا من الكلام لما يدلَّان عليه من التَّكلف، وقد برَّأه الله منه: إذ يقول في كتابه العزيز قل يا محمَّد ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[144]، والذي لاشكَّ فيه أنَّه كان يبلغ بعفوه، وقوى بعفوه، وقوى فطرته ما تنقطع دون رقاب البلغاء، وقد وصف الجاحظ في خطابته أدقَّ وصف، فقال إنَّه جانب أصحاب التَّعقيب*.

[143]- المرجع السَّابق، ص 44.

[144]- سورة ص، الآية 86.

*- التَّعقيب: وهو التَّقعير، التَّكلُّم بأقصى قعر الفم.

الخاتمة

وفي الختام، وبعد هذا البحث الممتع والشيِّق في "دراسة بنية تحليل الخطاب اللِّساني خطبة حجَّة الوداع نموذجا" نصل إلى بحثنا هذا بخاتمة نخلص فيها إلى بعض النَّتائج التي توصَّلنا إليها من خلال هذه الدِّراسة، وهي كالآتي:

1. خطبة الرَّسول محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم خطبة قيِّمة في معناها، ثقيلة في وزنها، راقية في جودتها، رفيعة في مكانتها، فهي خطبة وإن كان معناها كبير، فإنَّ هدفها خطبة النَّبي الأكرم، غال فهي من الخطب الجامعة لأنَّها تحتوي على تعاليم كثيرة، ومواضيع هامَّة، خاصَّة بديننا الإسلامي، فهي آخر خطبة للرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم.
2. خطبة الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم تعطينا تعاليم واضحة، وإرشادات بيِّنة، وتهدي إلى معالم، ودعامات تقوم على الحياة الاجتماعية المثالية من أصول التَّرابط بين الأفراد والمجتمع بين القوي، والضَّعيف، والقصاص الإسلامي.
3. تتعرَّض الخطبة لحلِّ المشاكل الاجتماعية التي تحدث في كلِّ مجتمع، وكما تنصُّ على اقتلاع بعض جذور الفساد مثل إلغاء الرِّبا.
4. يؤكِّد الرَّسول الكريم على وجوب التَّمسُّك بكتاب الله، وسنَّة رسوله، لأنَّهما الطَّريق الذي لا يظلُّ من تمسَّك به.
5. أكَّد الرَّسول على الحفاظ على حقوق المرأة، ووجوب رعايتها، والتزام العلاقة بين الأفراد، والحفاظ على الأسرة من الانحراف، والفساد.
6. تمتاز خطبة الرَّسول بمتانة التَّركيب، وهي وإن كانت قصيرة الجمل، إلَّا أنَّها كانت بمثابة سهلة الألفاظ، إلَّا أنَّها كانت واسعة في معانيها، وشاملة في مفاهيمها، وصائبة في دلالاتها، كما نرى في الخطبة من وضوح المعاني في التَّراكيب، أي أنَّ المعاني وردت على قدر الألفاظ دون زيادة أو نقصان، وهذه الصِّفة من صفات الكمال، والخلق لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم.
7. للخطابة أصناف عديدة تختلف باختلاف الموضوع الذي تعالجه.
8. يعتبر النصُّ أكبر وحدة لغوية في التَّحليل اللِّساني، يسعى إلى تحقيق قواعد الجملة في الإنتاج.

ملحق البحث

نصُّ خطبة حجَّة الوداع:

يقول رسول الله في خطبة حجَّة وداعه ما يأتي:

"الحمدُ لله نحمدُهُ وَنَسْتَعِينُه، ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَتُوبُ إليه، ونَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرورِ أَنْفُسِنا ومِنْ سيِّئآتِ أَعْمَالِنَا مَن يَهْدِه اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضَلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ. وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحْده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدا عبدُه ورسولُه. أوصيكُم عبادَ الله بتقوى الله، وأَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَتِهِ وأستفتح بالذي هو خير. أَمَّا بعد، أيُّهَا النَّاس، اسْمَعُوا منِّي أُبَيِّنْ لَكُمْ، فَإِنِّيَ لاَ أَدْرِي، لعَليَّ لاَ أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامي هَذَا، في مَوْقِفي هذا، أَيُّهَا النَّاس، إنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَليكُمْ إلى أنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ، كَحُرمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا في شَهْرِكُمْ هَذَا في بَلَدِكُم هَذَا -أَلَا هَلْ بَلَّغْتْ اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ- ، فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانةٌ فليؤَدِّها إلى مَنْ ائْتمَنَهُ عَلَيها وإنَّ رِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَلَكِنْ لَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَاَ تظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ وَقَضَى اللَهُ أَنَّهُ لَا رِبَا، وَإِنَّ أَوَّلَ رِبَا أَبْدَأُ بِهِ رِبَا عَمِّي الْعَبَّاسْ بْنُ عَبْدِ المطَّلِبْ.

وإنَّ دِمَاءَ الجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وإنَّ أَوَّلَ دَمٍ نَبْدَأُ بِهِ دَمُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ المطَّلِبِ وكان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل، وإنَّ مآثر الجاهلية موضوعة غير السَّدانة، والسِّقاية والعمد قودٌ، وشبهُ العمد ما قتل بالعصا، والحجر، وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية -أَلَا هَلْ بَلَّغْتْ اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ- أمَّا بعد أيُّها النَّاس، إنَّ الشَّيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنَّه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك ممَّا تحتقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم أيُّها النَّاس ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾[145-146]، وإنَّ الزَّمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السَّموات والأرض، منها أربعة حرمٌ ثلاثة متواليات، وواحد فرد: ذو القعدة، وَ ذو الحجَّة، وَ المحرَّم وَ رجب مضر الذي بين

[145]- سورة التَّوبة، الآية 37.

[146]- الخطابة وإعداد الخطيب، عبد الجليل عبده شلبي، ص 180.

جمادى وَ شعبان –أَلَا هَلْ بَلَّغْتْ الْلَّهُمَّ فَاشْهَدْ– أمَّا بعد أيُّها النَّاس، إنَّ لنسائكم عليكم حقًّا، ولكم عليهنَّ حقٌّ. لكم ألَّا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلَّا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة فإن فعلن فإنَّ الله قد أذن لكم أن تعضوهن، وتهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهنَّ، وكسوتهنَّ بالمعروف واستوصوا بالنِّساء خيرا فإنَّهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهنَّ شيئا وإنَّكم إنَّما أخذتموهنَّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله فاتَّقوا الله في النِّساء، واستوصوا بهنَّ خيرا –أَلَا هَلْ بَلَّغْتْ الْلَّهُمَّ فَاشْهَدْ–.[147]

أيُّها النَّاس إنَّما المؤمنون إخوة، ولا يحلُّ لامرئ مال أخيه إلَّا عن طيب نفس منه –أَلَا هَلْ بَلَّغْتْ الْلَّهُمَّ فَاشْهَدْ– فلا تَرجعُنَّ بعدي كُفَّارًا يضرب بعضكم رقاب بعض، فإنِّي قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلُّوا بعده: كتاب الله، وسنَّة نبيه –أَلَا هَلْ بَلَّغْتْ الْلَّهُمَّ فَاشْهَدْ – أيُّها النَّاس، إنَّ ربَّكم واحد، وأباكم واحد كلُّكم لآدم، وآدم من تراب أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي إلَّا بالتَّقوى –أَلَا هَلْ بَلَّغْتْ الْلَّهُمَّ فَاشْهَدْ قالوا: نعم– قال: فليبلِّغ الشَّاهد منكم الغائب.[148]

أيُّها النَّاس، إنَّ الله قد قسَّم لكلِّ وارث نصيبه من الميراث، ولا يجوز لوارث وصيَّة، ولا يجوز وصيَّة في أكثر من ثُلثٍ، والولد للفراش، وللعاهرُ الحِجْرَ من ادَّعَى إلى غير أبيه أو تولَّى غير مواليه فعليه لعنة الله، والملائكة، والنَّاس أجمعين لا يقبل منه صرف، ولا عدل، وأنتم تسألون عنِّي فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنَّك قد بلَّغت، وأدَّيت، ونصحت، فقال بأصبعه السَّبابة يرفعها إلى السَّماء، ويقلِّبها على النَّاس: اللَّهمَّ فاشهد، اللَّهمَّ اشهد، والسَّلام عليكم ورحمة الله".

[147]– المرجع السَّابق، ص 180.

[148]– المرجع نفسه، ص 180.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أوَّلا/ الكتب والمعاجم العربية:

1. أبحاث في علم اللُّغة النصِّي وتحليل الخطاب، جاسم علي جاسم، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
2. الأسس الإبستومولوجية للنَّظرية اللِّسانية، محمَّد محمَّد العمري، دار أسامة للنَّشر والتَّوزيع ، ط 1.
3. الأصوات اللُّغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 5، 1975م.
4. البنيوية في الفكر الفلسفي، عمر مهيبل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 2، 1993م.
5. تحليل الخطاب الأدبي (دراسة تطبيقية)، إبراهيم صحراوي، ط 2، 2003م.
6. تحليل الخطاب، محاضرات الأستاذ دنوقة، /www.wikipedia.org/wiki
7. التَّطبيق الصَّرفي، عبده الرَّاجحي، دار النَّهضة العربية للطِّباعة والنَّشر، بيروت.
8. التَّعريفات، الجرجاني، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1992م.
9. التَّفكير اللِّساني الحضارة العربية، عبد السَّلام المسدي، دار الكتاب الجديدة المتَّحدة، ط 3، 2009م.
10. خصائص الحروف ومعانيها، حسن عبَّاس، منشورات اتِّحاد الكتاب العربية، (د ط)، 1998م.
11. الخطاب بحث في بنيته وعلاقته، فوكو زواوي بغورة، بيروت، لبنان، ط 1، 2010م.
12. الخطاب وخصائص اللُّغة العربية (دراسة في الوظيفة والبنية والنَّمط)، أحمد المتوكِّل، ط 1، 1431هـ-2010م.
13. الخطاب، سارة ميلز، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط 1، 2016م.

14. الخطابة الإسلامية، عبد العاطي محمَّد شبلي، المكتب الجامعي الحديث، ط 1، 2006م.
15. الخطابة وإعداد الخطيب، عبد الجليل شلبي، دار الشُّروق، ط1، 1451هـ-1981م.
16. الرَّحيق المختوم، صفي الرَّحمان المبار كفوي، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).
17. علم اللُّغة التَّقابلي وتعليم العربية، عبده الرَّاجحي، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية، 1995م.
18. فقه السِّيرة، محمَّد العزالي، دار المعرفة، باب الوادي، (د ط)، (د ت).
19. الفلسفة التَّحليلية ماهيتها مصادرها ومفكِّروها، أحمد عبد الحليم عطية، العتبة العباسية المقدسة المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، لبنان، ط 1، 2019.
20. فنُّ الخطابة وإعداد الخطيب، علي محفوظ دار الاعتصام.
21. لسان العرب (المكتبة الشَّاملة)، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414هـ.
22. اللِّسانيات النَّشأة والتَّطوُّر، أحمد مومن، ديوان المطبوعات، بن عكنون، الجزائر، ط 1، 2005م.
23. لسانيات النصِّ (مدخل إلى انسجام الخطاب)، محمَّد خطابي، المركز الثَّقافي العربي، ط 2، 2006م.
24. اللِّسانيات الوظيفية المقارنة (دراسة في التَّنميط والتَّطوُّر)، أحمد المتوكِّل، الدَّار العربية للعلوم ناشرون، ط 1، 1433هـ-2012م.
25. مباحث تأسيسية في اللِّسانيات، عبد السَّلام المسدي، مؤسَّسات عبد الكريم بن عبد الله، دار الكتاب الجديدة المتَّحدة، تونس، (د ط)، 2010م.
26. مبادئ اللِّسانيات البنيوية (دراسة تحليلية أبستمولوجية)، الطيب دبه، دار القصبة للنَّشر، الجزائر، ط 1، 2001م.
27. مبادئ اللِّسانيات، أحمد محمَّد قدُّور، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1995م.

28. مبادئ في اللِّسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة للنَّشر، الجزائر، ط 2، 2006م.

29. محاضرات لسانيات الخطاب، أمينة ورفق.

30. المدخل اللُّغوي في نقد الشِّعر (قراءة بنيوية) مصطفى السَّعدي.

31. مدخل إلى اللِّسانيات، محمَّد محمَّد يونس علي، دار الكتاب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط 1، 2004م.

32. مشكلة البنية، زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، (د ط)، (د ت).

33. المصباح المنير (المكتبة الشَّاملة)، الفيُّومي، المكتبة العلمية، بيروت

34. المصطلح اللِّساني وتأسيس المفهوم، خليفة الميساوي، منشورات الاختلاف، ط 1، 1434هـ-2013م.

35. المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، تح: محمَّد يحتاين، الدَّار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط 1، 1428هـ-2008م.

36. معجم اللِّسانيات الحديثة إنجليزي عربي سامي عياد وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، (د ط)، 1997م.

37. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، 1986م.

38. معجم في المصطلحات والفروق اللُّغوية، أبو البقاء الكفوي، تح: عدنان درويش، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، ط 1، 1412هـ-1992م.

39. المفردات في غريب القرآن (المكتبة الشَّاملة)، الأصفهاني، تح: صفوان عدنان الدَّاودي، دار القلم، دمشق، بيروت، ط 1، 1412هـ.

40. مفهوم الخطاب في الدَّرس اللِّساني، جعفر لعزيز، باحث بسلك الماستر بالمدرسة العليا للأساتذة، جامعة محمَّد الخامس، الرِّباط.

41. مقاييس اللُّغة (المكتبة الشَّاملة)، ابن فارس، تح: عبد السَّلام محمَّد هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م.
42. مقدِّمة في علم اللُّغة، البدراوي زهران، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، ط 1، 2008م.
43. مقدِّمة للقارئ العربي، محمَّد السَّعران، بيروت، (د ط)، (د ت).
44. من بدائع الأدب الإسلامي (دراسة نقدية لنصوص الخطابة والقصَّة والشِّعر)، محمَّد بن سعد الدبل، ط 2، 1431هـ-2010م.
45. نظرية البنائية في النَّقد الأدبي، صلاح فضل، دار الشُّروق، ط 1، 1419هـ-1998م.

ثانيا/ المجلَّات العلمية:

1. البنيوية (قراءة في المفهوم)، دومة كنزة، مجلَّة المصطلح، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، العدد 5، 2006م-2007م.
2. تحليل الخطاب والدَّرس العربي (قراءة لبعض الجهود العربية)، نعيمة سعدية، مجلَّة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمَّد خيضر بسكرة، العدد 04، جانفي 2009.
3. الجملة الفعلية في خطبة حجَّة الوداع (دراسة تركيبية دلالية)، قنبر مصطفى أحمد، قطر، ج 3، العدد 11.
4. الخطاب اللِّساني العربي بين التُّراث والحداثة، بشرير إبرير، مجلَّة الرافد، العدد 47، 2001م.
5. مفهوم البنية، زواوي بغورة، جامعة قسنطينة، العدد 05، يونيو 1992م.

ثالثا/ الكتب المترجمة:

1. الخطاب بحث في بنيته وعلاقاته، فوكو، تر: الزواوي بغورة، بيروت، لبنان، ط 1، 2010م.
2. مقدِّمة في نظريات الخطاب، ديان مكدونيل، تر: عزَّ الدِّين إسماعيل، ط 1، 2001م.

رابعا/ المواقع الإلكترونية:

1. تحليل الخطاب مقدِّمة للقارئ العربي، عبد القادر سلَّامي، ديوان العرب، 18 أكتوبر 2007 www.diwanalarab.com

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصَّفحة
بسملة	/
إهداء	/
شكر وعرفان	/
مقدِّمة	أ
المدخل: الإرهاصات الأولى لنشأة البنية	
1- تعريف اللِّسانيات	2
2- نشأة اللِّسانيات	3
3- مناهج اللِّسانيات	7
4- فروع اللِّسانيات	10
5- مصطلحات اللِّسانيات ومشكلاتها	11
الفصل الأوَّل: مفاهيم عامَّة للبنية	
تمهيد	16
المبحث الأوَّل: مفهوم البنية	17
1- البنية لغة	17
2- البنية اصطلاحا	21
3- البنية عند العلماء اللُّغويين واللِّسانيين	23
4- خصائص البنية	25
المبحث الثَّاني: مفهوم الخطاب	27
1- الخطاب لغة	27
2- الخطاب اصطلاحا	29
3- الخطاب عند العرب	31
4- الخطاب عند اللِّسانيين	33
المبحث الثَّالث: مفهم التَّحليل	38
1- التَّحليل لغة	38

2- التَّحليل اصطلاحا	40
3- تحليل الخطاب	40
الفصل الثَّاني: تحليل الخطاب	
تمهيد	43
المبحث الأوَّل: تعريف الخطاب اللِّساني	44
المبحث الثَّاني: آليات تحليل الخطاب اللِّساني	46
1- المقاربة التَّلفُّظية	46
2- المقاربة التَّبليغية	46
3- مقاربة تحليل المحادثة	46
4- المقاربة السُّوسيو لغوية	47
المبحث الثَّالث: أساسيات الخطاب اللِّساني	50
1- النَّزعة الباكونية	50
2- النَّزعة الكبليرية	51
الفصل الثَّالث: دراسة تطبيقية لخطبة حجَّة الوداع	
المبحث الأوَّل: نبذة عن حياة الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم	53
المبحث الثَّاني: تحليل نصِّ خطبة الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم	54
1- البناء الصَّوتي	54
أ- الصَّوت لغة	54
ب- الصَّوت اصطلاحا	54
ج- إحصاء الأصوات المجهورة والمهموسة في نصِّ الخطبة	55
د- علاقة تكرار الأصوات بالمعنى	56
هـ- البيان الصَّوتي للأصوات المتكرَّرة	57
2- البناء الصَّرفي	61
أ- الصَّرف لغة	61
ب- الصَّرف اصطلاحا	61

ج- الجملة الفعلية ومكوّناتها	61
د- الجملة الفعلية المثبتة	62
3- البناء التّركيبي	63
أ- النَّحو لغة	63
ب- النَّحو اصطلاحا	63
4- البناء الدَّلالي	64
أ- الدَّلالة لغة	65
ب- الدَّلالة اصطلاحا	65
5- مضمون خطبة حجَّة الوداع	66
6- الخصائص الفنية لخطبة الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم	67
7- الألفاظ والمعاني	67
8- العاطفة	68
9- الأسلوب	68
استنتاج خطبة الوداع	70
الخاتمة	73
ملحق البحث	75
قائمة المصادر والمراجع	75
فهرس الموضوعات	84

الملخَّص:

يعدُّ هذا البحث الممتع والشيِّق في "دراسة بنية تحليل الخطاب اللِّساني خطبة حجَّة الوداع نموذجا" دراسة لسانية بنيوية، تجعل من النصِّ المتماسك، وتفكِّكه إلى بنيات جزئية أو فرعية شكلا أو دلالة بالنِّسبة للمرجعيات التي ساهمت في تشكيل البحث، توصَّلنا إلى أهمِّ النَّتائج من خلال هذه الدِّراسة تتمثَّل فيما يلي:

1. خطبة الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم قيمة في معناها، وهدفها واسع.
2. تتعرَّض الخطبة لحلِّ مشاكل المجتمع، والحثِّ على القيم، والأخلاق الحسنة.
3. تنوُّع البنية في مختلف الخطبة لما تحتويه من معاني هادفة في المجتمع.
4. تمتاز الخطبة بمتانة التَّركيب، وانسجام الأفكار، وشاملة في معانيها، وصائبة في دلالتها.

الكلمات المفتاحية: البنية، النصِّ، التَّحليل، الخطاب اللِّساني.

Résumer:

Cette intéressante recherche littéraire dans «L'Étude de la structure analytique du discours linguistique, Le sermon d'adieu (à Arafat) comme modèle», est une étude linguistique structurelle qui montre la cohérence du texte et le subdivise en structures partielles ou subsidiaires de forme ou de signification par rapport aux références qui ont contribué à la formation de cette étude. Dans ce contexte, nous avons conclu des résultats importants comme suit:

1. Le sermon du Saint Prophète (que Dieu le bénisse et lui accorde la paix) est précieux dans sa signification et son but est vaste.
2. Le sermon s'intéresse à la résolution des problèmes de la société et de la promotion des valeurs et de la haute moralité.
3. La diversité structurelle du sermon engendrés par la diversté des significations morales portées pour la société.
4. Le sermon se caractérise par la solidité de sa structure, l'harmonie de ses idées, l'exhaustivité de ses significations et l'exactitude de ses connotations.

Les mots clés: structure, texte, analyse, discours linguistique.

Summary:

This interesting literary research in "The Study of the Analytical Structure of Linguistic Discourse, The Farewell Sermon (at Arafat) as a Model", is a structural linguistic study which shows the coherence of the text and subdivides it into partial or subsidiary structures of form or meaning in relation to references that contributed to the formation of this study. In this context, we have concluded important results as follows:

1. The sermon of the Holy Prophet (God bless him and grant him peace) is precious in its meaning, and its purpose is vast.
2. The sermon is concerned with solving societal problems and promoting values and high morality.
3. The structural diversity of the sermon generated by the diversity of moral meanings brought to the society.
4. The sermon is characterized by the solidity of its structure, the harmony of its ideas, the exhaustiveness of its meanings and the accuracy of its connotations.

Key words: structure, text, analysis, linguistic discourse.